Copyright © Open access article with CC BY-NC-ND 4.0

التحويل بالحذف في القرآن الكريم

(التراكيب الدالّة على الدعوة والداعية) أنموذجاً دراسة نحوية دلالية

م. كامران عبدالله محمود
Kamaranabm@gmail.com

أ.د. طه صالح أمين آغا
Taha.amen@univsul.edu.iq

قسم اللغة العربية ـ كليّة اللغات ـ جامعة السليمانية- إقليم كوردستان ـ العراق

الملخص

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على ما تؤدّيه نمط من أنماط التحويل وهو التحويل بالحذف من دور في بيان المعاني الدفينة للتراكيب، , فبمعرفة ما طرأ على تلك التراكيب من العمليات التحويلية إلى أن استوت في البنية السطحية نتمكّن من معرفة المعاني الدقيقة والأغراض المبتغاة من تلك التراكيب،كما نستطيع الوقوف على العلل والأسباب في كلّ من الحالات التي حصل فيها التحويل بالحذف .

وقد وقع اختيارنا على التراكيب التي جرى فيها التحويل بالحذف في القرآن الكريم، كون القرآن الكريم يمثّل أرقى مستويات الأداء اللغوي الحيّ في اللغة العربية، وقد نشأ الدرس اللغوي العربي خدمة له، واخترنا التراكيب الدالّة على الدعوة والداعية في القرآن الكريم؛ لأنّ القرآن رسالة الدعوة . وقد درس الباحث تلك التراكيب حسب المنهج التحويلي، لأنّ نظرية تشومسكي التوليدية التحويلية تنال قسطاً وافراً من اهتمامات الباحثين على اختلاف مشاربهم ولغاتهم وملائمة وموائمة مع منهج علماء اللغة العربية القدامى إلى حدّ كبير، وهي من المناهج اللغوية الحديثة التي تيسّر الوصول إلى معرفة الأغراض والمعاني التي تؤدّيها التراكيب اللغوية، وذلك عن طريق معرفة الأصل التوليدي والبنية العميقة لتلك التراكيب .

الكلمات المفتاحية: التحويل بالحذف، الأصل التوليدي، البنية السطحية، التركيب اللغوي

Recieved: 2/4/2024
Accepted: 6/5/2024

E-ISSN: 2790525-X
P-ISSN: 27905268

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين منزل الكتاب هاديا إلى دينه المبين والصلاة والسلام على نبيه الأمين محمّد ﷺ داعيا ورحمة للعالمين ...

أمّا بعد:

فإنّ القرآن الكريم كتاب دعوة وهداية وإرشاد، وجلّه يتعلّق بالدعوة إلى التوحيد والتمسّك بمكارم الأخلاق وإقامة العدل على الأرض، وهو معجز بلغته ونظمه وبيانه، وقد تناوله العلماء منذ القدم بالدراسات اللغوية، وليس من المبالغة القول إنّ الدرس اللغوي نشأ خدمة لهذا الكتاب الجليل، كما أنّ طائفة من أهل التفسير اهتموا بالجوانب اللغوية في القرآن الكريم للوقوف على معانيه، إذ إنّ الألفاظ ليست مقصودة في ذاتها وما وضعت إلاّ لتكون قوالب للمعاني .

وللوقوف على المعاني الدقيقة للآيات والتراكيب التي جرى فيها الحذف ارتأى الباحث دراسة نماذج من التراكيب الدالّة على الدعوة والداعية معتمداً على المنهج الوصفي، ومتبّعاً في تحليلها المنهج التحويلي، إذ إنّ الحذف يُعدّ عنصراً مهمّاً من عناصر التحويل يقوم على تحويل معاني الجمل، ولا يظهر الجزء المحذوف في البنية السطحية للجملة، وتدلّ القرينة اللفظية أو الحالية على وجوده في البنية العميقة للجملة، وعلى دوره البارز في أداء المعاني، وهو يتعلّق بالفكر النحوي لدراسة اللغة . (الترك، ٢٠٠٤: ص٧٩)، وبما أنّ المقصود من الكلام هو التعبير عن المعاني والأغراض، والألفاظ غير مقصودة في ذاتها بل هي بمنزلة الطريق والقالب للتعبير عن تلك المعاني، فقد عدّ ابن سنان الخفاجي الإيجاز والاختصار وحذف الألفاظ الزائدة من شروط الفصاحة والبلاغة، وبالالتزام بهما يستطيع الإنسان أن يُعبّر عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة . (الخفاجي،١٩٥٣: ص ٢٤١،٢٥١)، وقد أكّد ابن الأثير الفكرة نفسها، فبيّن أنّ " النظر فيه إنّما هو إلى المعاني لا إلى الألفاظ، ولست أعني بذلك أن تُهمل الألفاظ، بحيث تعرى عن أوصافها الحسنة، بل أعني أنّ مدار النظر في هذا النوع إنّما يختصّ بالمعاني، فربَّ لفظٍ قليل يدلّ على معنى كثير، وربَّ لفظٍ كثير يدلّ على معنى قليل" . (ابن الأثير، ١٩٩١م: ص٢٠٩/٤)

والحذف نقيض الزيادة ، ويعني أيّ نقص في الجملة النواة أو الوحدة الإسنادية التوليدية الاسمية أو الفعلية يأتي لغرض في المعنى، وتبقى الجملة أو الوحدة الإسنادية الوظيفية حاملة معنى يحسن السكوت عليه، فإن سأل أحدهم قائلاً: من حضر ؟ وأُجيب: خالدٌ ؛ فإنّ كلمة (خالدٌ) في سياقها تحمل معنى يحسن السكوت عليه، فهي جملةٌ، ولكنّها جملةٌ قد حُذف ركنٌ من أركانها، وهو (حضر)، فهي جملة تحويلية القصد من التحويل فيها هو الإيجاز . (عمايرة، ١٩٨٤: ص ١٣٤)

وتُعدّ "قضيّة التحويل بالحذف من القضايا المهمّة التي عالجتها البحوث النحوية والبلاغية والأسلوبية بوصفها انحرافاً عن المستوى التعبيري العاديّ، بما أنّه يستمدّ أهميّته من حيث إنّه لا يورد المنتظر من الألفاظ، بل يُفجّر في ذهن المتلقّي شحنة فكريّة توقظ ذهنه، وتجعله يتخيّل ما هو مقصود» (سليمان،٢٠٠٤:ص١٣٧)، ولا يحصلُ الحذفُ في الجملة إلاّ عندما تكون العناصر الموجودة كافية للدلالة على المعنى، ولا يأتي في الجملة من دون فائدة، بل له قيمته، إذ إنّه يُعطي القارئ والمتلقّي فرصة ثانية لشحذ فكره وتشغيل عقله وتخيّل ما يُمكن أن يتخيّله. (أبو سعيفان، ٢٠١٢: ص ٩)

فالحذف إذن هو إسقاط جزء الكلام أو كلّه لوجود دليل على المحذوف أو قرينة تشير إليه، وذلك وفقاً لما يسمح به نظام اللغة (الزركشي، ١٩٥٧:ص ١٧٣/٣)، فلا يصحّ الحذف إلاّ إذا وجد دليل يدلّ عليه، «فالأصل في المحذوفات جميعها على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدلّ على المحذوف، من قرينة لفظية وعقلية وحالية مقامية، وأخرى صوتيّة أوإعرابية أو صناعية تتصل بالأصول والقواعد النحوية» (أمين آغا، ٢٠٠٧: ص ٣١٣) وقد «حذفت العرب الجملة، والمفرد،

والحرف، والحركة، وليس شيء من ذلك إلاّ عن دليل عليه». (ابن جني، ٢٠٠٨: ص ٢٨٤/١)

وقد عني بدراسة الحذف النحاة والبلاغيون، إلاّ أنّ النحاة هم أوّل من عنوا بدراسته وتنبّهوا لأنواعه وأغراضه، فهذا سيبويه إمام النحاة يشير إلى الحذف ويضعه تحت باب يسمّيه « باب ما يكون في اللفظ من الأعراض: إعلم أنّهم ممّا يحذفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك» (سيبويه، ٢٤١/١٩٦٧:١)، وقد عدّه ابن الفارس من سنن العربيّة (ابن فارس، ١٩٩٧م: ص١٥٦)، وكان للنحاة منحى خاصّ في دراسة الحذف يقتصر على ما دعت إليه الصناعة النحوية، وقد اعتمدوا في ضبط حالاته على الاستعمال العربي، مع الإشارة إلى الأثر البلاغي للحذف في مواضع كثيرة كالحذف للإيجاز والاختصار في الكلام، وقد ذكروا لتفسير ظاهرة الحذف علاً و أسباباً، وهذه العلل « ليست عللاً عقليّة وبعيدة عن الواقع اللغوي، وإنّما هي أحكام ونتائج استخلصها القدماء من الاستقراء الوصفي المباشر للغة، ومن معرفتهم بخصائص الصيغ والتراكيب العربية» (حمودة، ١٩٩٨: ص٣١)، فكان بذلك عملهم عملاً متكاملا لم يقتصر على الوصف التقريري بل كان وصفا تقريرياً وتفسيرياً في آن واحد .

وقد ذكر النحاة عوامل تفسّر الحذف عندهم منها: كثرة الاستعمال، وطول الكلام، والعلم بالمحذوف، والضرورة الشعرية، والحذف لأسباب قياسية تركيبية و... وأنواع الحذف في التراكيب أربعة: حذف الأسماء، وحذف الأفعال، وحذف الحروف، وحذف الجمل ، فالحذف هنا يشمل جميع مكوّنات المستوى التركيبي، ولا يكون الحذف اعتباطيّاً بل يُشترط لصحّته شروط . (الترك، ٢٠٠٤ : ص٨٢)

ومن شروطه: ١- وجود قرينة أو دليل تدلّ على المحذوف.

٢- ألاّ يكون المحذوف مؤكّداً .

٣- ألاّ يكون عاملاً ضعيفاً، فلا يُحذف الجارّ والمجرور .

٤- ألاّ يكون عوضاً عن شيء .

٥- ألاّ يُؤدّي حذفه إلى تهيئة العامل للعمل، وقطعه عنه، ولا إعمال العامل الضعيف مع إمكان إعمال العامل القويّ . (الأنصاري، ٢٠٠٩م: ص٢٧٢/٢)

وفيما يخصّ دراسة ظاهرة الحذف عند التحويليين فإنّ النظرية التحويلية تتفق مع النحو العربي في الأساس العقلي الذي تصدر عنه اللغة، وقد أدّى ذلك إلى أن يتناول التحويليون قضايا الحذف والزيادة، وإنّ " الطريقة التي يُقدّمها النحو التحويلي في تفسير ظاهرة الحذف شبيهة بما قدّمه النحو العربي، وما يُسمّيه التحويليون بقواعد الحذف الإجباري شبيهة بما سمّاه نحاة العرب القدماء بالحذف الواجب حيث لا تكون الجملة صحيحة نحويا إذا ظهر المحذوف المقدّر في الكلام أي في بنية السطح على حدّ تعبير التحويليين .(حمودة، ١٩٩٨: ص ١٤)

وينبغي أن نشير إلى أنّ الحذف عندما يُنسب إلى القرآن، فلا يُقصد به مضمون القرآن الذي هو كتاب الله المصون، بل يُنسب إلى تركيب اللغة، فاللغة تجعل للجملة العربية أنماطاً تركيبية معيّنة، فإذا لم تشتمل الجملة على بعض هذه التراكيب عُدّ ذلك حذفا .(حسان،٢٠١٣: ص١٠٩/٢)

وأنّ ظاهرة الحذف في القرآن الكريم، بلغت غاية في الدقة، وآية في الجمال، فهي تحمل في دفّاتها وجوهاً من الدلالات، فالمتفق عليه بين جميع العلماء والباحثين على اختلاف أزمنتهم أنّنا لو تقصّينا البحث عن كلمة تحلّ محلّ كلمة في القرآن الكريم ما وجدنا غيرها يصلح في مكانها، ولذا نخلص إلى القول إنّ كلّ محذوف في القرآن الكريم ما كان ينبغي إلاّ أن يكون محذوفا. (أبو شادي، ١٩٩١: ص٣٩)

واقتضت طبيعة البحث تقسيمه على مبحثين، المبحث الأول عن التحويل بالحذف في مكونات العملية الإسنادية، والمبحث الثاني عن التحويل بالحذف في مكملات العملية الإسنادية، وخاتمة بأهم النتائج .

المبحث الأول

التحويل بالحذف في مكوّنات التركيب الإسنادي

أولاً: التحويل بحذف المسند إليه في جملة إسنادية اسمية

يمثّل المبتدأ الركن الأساس الذي تتكوّن منه مع الخبر الجملة الاسمية، وحذفه يتوقّف على ما يدلّ عليه من قرينة بعد حذفه، وعلى وجود المرجّح للحذف على الذكر . (عتيق، ٢٠١٢:ص١١٩)

وعن حذف المبتدأ أو الخبر وشرط حذف أحدهما يقول ابن يعيش: "اعلم أنّ المبتدأ والخبر جملة مفيدة، تحصل الفائدة بمجموعهما، فالمبتدأ معتمد الفائدة، والخبر محلّ الفائدة، فلا بُدّ منهما، إلاّ أنّه قد توجد قرينة لفظيّة أو حالية تُغني عن النطق بأحدهما، فيُحذف لدلالتها عليه" . (١٢٠٠:ص٢٣٩/١)

منه ما ورد في سورة آل عمران من قوله تعالى: ﴿١٩٥ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٧]

هذه الآية الكريمة بيانٌ لكيفية تربية الداعي ﷺ ومن خلاله المدعوين، بأنّ العبرة بالعاقبة ومآل الأمور، لا بظاهرها وعاجل أمرها، فإنّ الله جلّ وعلا يُمهل الكافرين والمنافقين ثمّ يأخذهم ببأسه وعذابه وإنّ أخذه أليم شديد .

واختُلف في الخطاب بالآية أ هو للرسول أم للمؤمنين ؟، فقد قيل: الخطاب للنبيّ ﷺ والمراد الأمّة. وقيل: للجميع. وذلك أنّ المسلمين قالوا: هؤلاء الكفار لهم تجارة وأموال وضرب في البلاد، وقد هلكنا نحن من الجوع، فنزلت هذه الآية. أي: لا يغرّنّكم سلامتهم بتقلّبهم في أسفارهم . (متاعٌ قليلٌ) أي: تقلُّبهم متاع قليل .(القرطبي،١٩٦٤ : ص٣١٩/٤)

وقد ذهب الزمخشري إلى أنّ الخطاب في الآية لرسول اللّه ﷺ أو لكلّ أحد، أي: لا تنظر إلى ما هم عليه من سعة الرزق وحظوظ الدنيا، ولا تغتر بظاهر ما ترى من تجارتهم وضربهم في الأرض .(الزمخشري، ١٤٠٧هـ: ص٤٥٧/١)

وعن الحذف في الآية قال أبو جعفر النحاس في هذه الآية: " مَتاعٌ قَلِيلٌ أي: ذلك متاع قليل أي ابتداء وخبر" (١٤٢١: ص ١٩٥/١)، وقد ذكر الرازي في تفسيره أنّ المبتدأ المحذوف هو (تقلّبهم) قائلاً: " المعنى، تقلّبهم متاعٌ قليلٌ"(١٤٢٠:ص٤٦٦/٦)

وعلى هذا فإنّ البنية العميقة أو التوليدية للآية الكريمة ﴿ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ﴾ هي: (تقلّبُ الكافرين في الدنيا متاعٌ قليلٌ) مكوّنة من (مبتدأ+ مضاف إليه+ جارّ ومجرور+ خبر) طرأ عليها تحويل بحذف المسند إليه مع متعلّقاته لوجود القرينة اللفظية السابقة (تقلّب الذين كفروا في البلاد) ، وقد «أفاد الحذف تحقير هذا المتاع وصرف النفوس عن تمنّي مثل ما أوتي بعض الكافرين من جاه ومال» . (أبو شادي، ١٩٩١: ص٤٥)

إنّ هذه الآية وما بعدها من الآيات، في موضع التربية، وفي مجال إقرار القيم الأساسية في التصوّر الإسلامي، وهي مناسبة للجوّ العام للسورة وما فيها من دعوة إلى الصبر، فالصبر هو زاد الطريق في هذه الدعوة، إنّه طريق طويل وشاقّ، حافل بالعقبات والأشواك . والصبر يكون على أشياء كثيرة: الصبر على شهوات النفس ورغائبها، وأطماعها ومطامحها، والصبر على شهوات الناس ونقصهم وضعفهم وجهلهم، وسوء تصوّرهم، واستعجالهم للثمار !(سيّد قطب، ٢٠٠٥:ص٥٤٩/١- ٥٥٣)

فإنّ تقلّب الذين كفروا في البلاد مظهر من مظاهر النعمة والوجدان، ومن مظاهر المكانة والسلطان، وهو مظهر يحيك في القلوب شيء منه لا محالة، يحيك منه شيء في قلوب المؤمنين؛ وهم يُعانون الشظف والحرمان، ويُعانون الأذى والجهد، بينما أصحاب الباطل ينعمون ويستمتعون ! وهنا تأتي اللمسة: ﴿١٩٥ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٧] .(ابن عاشور، ١٩٨٤:ص٢٢٠/١١)

ومنه قوله تعالى: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨﴾ [البقرة: ١٨]

يبيّن الله سبحانه وتعالى في الآيات الأولى من هذه السورة موقف الناس من دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فمنهم من فتح قلبه وعقله للداعية وآمن بالدعوة، ومنهم من كفر به ولم يستجب للدعوة، وأخيراً بيّن بأنّ هناك قسماً ثالثاً، وهم الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الشرك والكفر، وهم المنافقون، وقد وردت في شأنهم ثلاث عشرة آية

نُعي عليهم فيها خُبثهم ومكرهم، وسوء عواقبهم، وسفه أحلامهم وجهالتهم، وفي الآية المذكورة إشارة إلى اضمحلال الفضيلة منهم.(ابن عاشور، ١٩٨٤: ص٢٦٠٢٦٢/١)

والأصل التوليديّ لقوله: ﴿صُمٌّ بُكۡمٌ عُمۡيٞ١٨﴾ وهي جملة اسمية مكوّنة من (مبتدأ + خبر) هو: (هم صمّ بكم عميٌ) وقد طرأ عليها تحويل بحذف المبتدأ، فالجمهور على أنّ (صُمٌّ) رُفع على أنّه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هم صمٌّ . (العكبري، ١٩٧٩م: ص٢١/١)

ويفصّل أبو السعود القول في إعراب: (صُمٌّ ، بُكمٌ، عُميٌ) قائلاً: «أخبارٌ لمبتدأ محذوفٍ هو ضمير المنافقين أو خبر واحد بالتأويل المشهور كما في قولهم هذا حلوٌ حامض» (د.ت: ص٥١/١)، و يبدو أنّ الإخبار عنهم بهذه الأخبار جاء على طريقة التشبيه البليغ، شُبّهوا في انعدام آثار الإحساس منهم بالصمّ البكم العمي، أي: كلّ واحد منهم اجتمعت له الصفات الثلاث، وذلك شأن الأخبار الواردة بصيغة الجمع بعد مبتدأ هو اسم دالّ على جمع، فالمعنى: كلّ واحد منهم كالأصمّ والأبكم والأعمى .

وقوله: ﴿فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ١٨﴾ تفريع على جملة (صمّ بكم عمي) لأنّ من اعتراه هذه الصفات انعدم منه الفهم والإفهام وتعذّر طمع رجوعه إلى رشد أو صواب .

وفي حين يرى ابن عاشور أنّ حذف المسند إليه (المبتدأ) في هذا المقام استعمال شائع عند العرب إذا ذكروا موصوفاً بأوصاف أو أخبار لأنهم جعلوه كأنّه قد عُرف للسامع فيقولون: فلانٌ أو فتى أو رجل أو نحو ذلك، على تقدير هو فلانٌ . (ابن عاشور، ١٩٨٤ : ص ٣١٢/١- ٣١٤) يشير الزركشي إلى أنّ غاية التحويل بحذف المبتدأ هنا هي صيانة اللسان عنه تحقيراً له (١٩٥٧: ص ١٠٧/٣) ولكنّني أرتضي ما ذهب إليه الدكتور حيدر حسين عبيد حيث أضاف إلى تلك الغاية غاية وعلّة أخرى وهي أنّ التحويل بحذف المبتدأ هنا لتعجيل المساءة للكافرين، وزيادة تبكيتهم من جانب، ومن جانب آخر اغتنام فرصة إقبال المخاطبين والسامعين من المؤمنين من أجل تقرير وبيان صفات المنافقين لهم؛ ليكونوا أبعد عمّا يُؤدّي بهم إليها، فقد ذكر سبحانه في الآية السابقة عن صفاتهم: ﴿مَثَلُهُم كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ١٧ ﴾ [البقرة: ١٧]،» فلو ذكر المبتدأ (هم) لأوحى ذلك إلى المتلقي بداية جملة جديدة، وألقى في نفسه التهيّؤ للانتقال إلى مشهد آخر، وبذلك لن يكون للجملة من التأثير في نفسه ما يتركه تتابع المعاني وتكثيفها في ذهنه» .(عبيد، ٢٠١٣: ص ٨٩ - ٩٠)

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦١﴾ [التوبة: ٦١]

هذه الآية وردت في سياق آيات من بداية سورة التوبة في الحديث عن المنافقين، وما يصدر منهم من أقوال وأفعال حول الدعوة وداعيتها الرسول ﷺ، فتنكشف بذلك نواياهم التي يُحاولون سترها فلا يستطيعون. فمنهم من يتّهم داعية الإسلام ويقول عنه: هو أذن يستمع لكلّ قائل، ويُصدّق كلّ ما يُقال، حاشاه فهو النبيّ الفطن البصير، والمفكّر المدبّر الحكيم .

والبنية العميقة للآية الكريمة: ﴿ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ٦١﴾ هي (النبيّ أذنُ خيرٍ للمنافقين) وهي جملةٌ اسمية مكوّنة من (مبتدأ + خبر + مضاف إليه) طرأ عليها تحويلٌ بحذف المسند إليه الذي هو الضمير (هو) الذي يعود إلى النبيّ ﷺ، والمسوّغ لحذفه وجود القرينة اللفظيّة السابقة الذكر فأصبحت الجملة في البنية السطحيّة (أُذنُ خيرٍ لكم) .

وعلى هذا فإنّ «(أُذُنُ خيرٍ لكم) خبر ابتداء محذوف تقديره: (قُل هو أُذن خيرٍ) أي: هو مستمعُ خيرٍ لكم، أي هو مستمع ما يُحبّ استماعه، وقابل ما يحبّ قبوله، والمراد بالأُذُن هنا جملة صاحب الأُذن، وهو النبيّ ﷺ، أي هو مستمعُ خيرٍ وصلاح لا مستمع شرّ وفساد.» (حمّوش، ١٤٠٥: ص ٣٣٠/١)

فالقرآن الكريم يأخذ كلام المنافقين عن الداعية ليجعل منه ردّاً عليهم: (ويقولون: هو أُذُن) نعم هو أُذُن ولكن قُل (أُذُن خيرٍ لكم) فهو أُذُن خيرٍ يستمع إلى الوحي فيُبلّغه لكم وفيه خيركم وصلاحكم. وأُذُن خيرٍ يستمع إليكم في أدبٍ ولا يُجابهكم بنفاقكم، ولا يرميكم بخداعكم، ولا يأخذكم بريائكم وهذه سماحة الداعية . (سيدقطب، ٢٠٠٥: ص ١٦٧١/٣)

ولعلّ مسوّغ الحذف هنا يرجعُ إلى ما أشرنا إليه سابقاً من أنّ الجوّ العام لسورة التوبة هو جوّ الغضب الإلهيّ على المشركين ومن عاونهم من المنافقين لاعتدائهم المستمرّ على حدود الله، ولعلّ هذا الموقع أشدّ مواضع الغضب وذلك لما قاموا به من الإساءة البالغة بحقّ داعيته النبيّ ﷺ، حين قال المنافقون أنّه ﷺ أُذُنٌ؛ أي يسمع كلّ شيءٍ ويُصدّقه (القرطبي، ١٩٦٤: ص ١٩٢/٨) حاشاه فاستوجب الموقف أن يكون الردّ سريعاً وحاسماً لا تباطُؤ فيه ولا تراخٍ، ولذا حُذف المبتدأ .

ولعلّ غرض الحذف أيضاً هو الاهتمام بشأن المسند إليه الذي هو داعية الإسلام النبيّ ﷺ ورفع مقامه؛ لأنّ «الإشارة إلى النبيّ الكريم بضمير الغيبة (هو) مع أنّ ظاهر النظم يقضي بأن يكون النبيّ هو المتحدّث عن نفسه هكذا: (قُل: إنّني أُذُن خير لكم) إشارة إلى أنّ الذي يتولّى الدفاع عن النبي ﷺ هو الله سبحانه وتعالى، وأنّه إذا كان النبيّ في غير محضر من هؤلاء الذين يقولون فيه هذا القول المنكر، فإنّ الله سبحانه وتعالى هو وليّه، وهو الذي يُدافع عنه، ويفضح المتآمرين عليه»(الخطيب، د.ت : ص٨٢٣/٥)

ولعلّ حذف المبتدأ هنا يرجع أيضاً إلى ما ذكره الدكتور حيدر حسين عبيد من أنّ حذف المسند إليه في هذه الآية جاء أيضاً : « لكي لا يُشاكل قولُ الله قول المنافقين بأيّ وجهٍ كان، فهم قالوا: هو أُذُن، والله قال: (أُذُن خيرٍ لكم)، ولم يقف عند حدّ الوصف بالأُذن، لكنّه أثنى عليه بأنّه ﷺ أُذُن خير، يسمع الخير ويُجازي عليه، وأمّا الباطل فهو لا يسمعه، أو لا يُلقي له بالاً حتى كأنّه لا يسمعه .» (٢٠١٣: ص٩٩)

وقد بيّن الزمخشري في تفسيره بيانا لوصفهم للنبي ﷺ بالأُذُن قائلاً: «الأذن: الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد، سمّي بالجارحة التي هي آلة السماع، كأنّ جملته أذنٌ سامعة، وإيذاؤهم له: هو قولهم فيه هُوَ أُذُنٌ. وأذن خير، كقولك: رجل صدق، تريد الجودة والصلاح. كأنه قيل: نعم هو أُذُنٌ ولكن نِعم الأُذُن. ويجوز أن يريد: هو أذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله، وليس بأذن في غير ذلك ودلّ عليه قراءة حمزة: (وَرَحْمَةٍ) بالجرّ عطفاً عليه أى: هو أذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله». (١٤٠٧: ص٢٨٤/٢)

وختاماً نخلص إلى القول بعد ذكر كلّ تلك التعليلات لحذف المسند إليه (المبتدأ) إنّ ما قاله الجرجاني كلام في غاية الدقّة والجمال حين بيّن فضل وبلاغة التحويل بالحذف حين يقول:» وإذ قد عرفت هذه الجملة من حال الحذف في المبتدأ ، فاعلم أنّ ذلك سبيله في كلّ شيء، فما من اسم أو فعل قد حُذف ثمّ أُصيب به موضعه، وحذف في حال ينبغي أن يُحذف فيها إلاّ وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره، وترى إضماره في النفس أولى و آنسَ من النطق به. (الجرجاني، د.ت: ص١٥٢-١٥٣)

ثانياً: التحويل بحذف المسند إليه في جملة إسنادية فعلية: (حذف الفاعل)

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ٤٦﴾ [التوبة: ٤٦]

جاءت الدعوة الإسلامية على لسان داعيته النبي ﷺ، فانقسم الناس إزاءها ثلاثة أقسام، قسم فتح قلبه للدعوة وآمنت بها وتفاعلت معها وهم المؤمنون، وقسم أعرض عنها وجحد بها وهم الكافرون والمشركون، أمّا القسم الثالث والأخير فهم المنافقون الذين أظهروا الإيمان وانخرطوا بين صفوف المؤمنين ولكنّهم أبطنوا الكفر، وهؤلاء يبتغون الفتنة ويتربصون بداعية الإسلام وبالمؤمنين الدوائر.

وهذه الآية تبيّن لنا موقفا من مواقفهم الدنيئة، وهم قد دعوا إلى الخروج في غزوة تبوك، لكنّهم تباطؤوا عن الجهاد مع رسول الله ﷺ، ولم يُعدّوا أنفسهم للخروج وأخذوا يستأذنونه مختلقين الأعذار. وذُكر أنّ الذين استأذنوا رسول الله ﷺ في القعود كانوا عبدالله بن أبيّ بن سلول، والجَدّ بن قيس، ومن كان على مثل الذي كانا عليه من النّفاق. (الطبري، ٢٠٠١: ص٤٨٢/١١)

وقد حصل تحويل بالحذف في الآية، وذلك بحذف فاعل (قال) في قوله:(وَ قيلَ اقعُدوا مَعَ القاعِدين) وبناء الفعل

للمجهول، ولعلّ الحذف هنا جاء لـ " إمكان أن يتعدّد القائلون، فالله بتثبيطه لهم كأنّه قال لهم: اقعدوا، والشياطين حينما زيّنوا لهم القعود كأنّهم قالوا لهم: اقعدوا، وهكذا أعطتنا كلمة واحدة عطاءات متعدّدة" . (الشعراوي،١٩٩١: ص٥١٦٠/٩)

ويُمكن أن يكون حذف الفاعل تحقيراً لهم واستهانة بهم لفعلتهم الشنيعة، وذلك أنّهم لم يمتثلوا لأمر الداعية لهم، و"لم يُريدوا الخروج إلى الغزو، وهذا استدلال على عدم إرادتهم الخروج، إذ لو أرادوه لأعدّوا له عدّته . وهذا تكذيبٌ لزعمهم أنّهم تهيّأوا للغزو ثمّ عرضت لهم الأعذار فاستأذنوا في القعود ؛ لأنّ عدم إعدادهم العدّة للجهاد دلّ على انتفاء إرادتهم الخروج إلى الغزو".(ابن عاشور، ١٩٨٤: ص ٢١٤/١٠)

ثالثا: التحويل بحذف المسند في جملة إسنادية اسمية

حذف خبر المبتدأ:

ومنه قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ١٧﴾ [هود: ١٧]

تبدو في هذه الآية مناصرة ودعم الله لرسوله، داعية دينه ومبلّغ رسالته، في وجه افتراءات وادّعاءات المشركين للنيل من همة الداعية وحرصه الشديد على إيصال الدعوة إلى قلوب الناس أجمعين .

والأصل التوليديّ للآية الكريمة ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ هو (النبيّ كغير النبيّ) وهذا الأصل التوليديّ جملة اسمية مكونة من (مبتدأ + خبر) ، والمقصود بالاسم الموصول (مَن) في الآية هو النبيّ ﷺ فقد ذهب إلى ذلك كثير من المفسرين (الطبري: ٢٠٠١، ص٣٥٣/١٢)، (القرطبي:١٩٦٤، ص١٦/٩) . وجملة (كان على بيّنة من ربّه) صلة للموصول، وقد جرت على الجملة تحويل بالحذف ف»الخبر محذوف تقديره: أ فمن كان على هذه الأشياء كغيره ؟ «(العكبري: ١٩٧٦، ص٦٩٢/٢) أي: كغيره ممّن يريد الحياة الدنيا وزينتها . وقد طرأت جملة من التحويلات على البنية العميقة للآية:

- النبيّ كغير النبيّ . (مثبت)
- ليس النبيّ كغير النبيّ . (النفي)
- ليس الذي على بيّنة من ربّه كغير الذي على بينة من ربّه . (النفي)
- أكان الذي على بيّنة من ربّه كغيره ؟. (الاستفهام)
- أفمن كان على بينة من ربّه . (الاستفهام + النفي الضمني) (كريم، ٢٠٢١: ص٦٩)

ولعلّ التحويل بحذف الخبر كان للعلم به، وكذلك لتصفية العبارة وصيانتها من التمدّد الثقيل، والهمزة لإنكار أن يعقب من هذا شأنه من المكانة الرفيعة عند الله وهو النبي الداعية هؤلاء المقصرين هممهم وأفكارهم على الدنيا وأن يقارب بينهم في المنزلة، وهو الذي أغنى عن ذكر الخبر. (البيضاوي: ١٤١٨هـ،ص٣ /١٣١)، فجاءت هذه الآية بحشد من الدلائل والشواهد لتطييب خاطر الداعية ﷺ وأصحابه الذين آمنوا به واتبعوا دعوته ونهجوا سبيله بما كان يُخالج نفوسهم من ضيق وتعب من جرّاء تجمّد الدعوة وكثرة المعاندين .(سيد قطب، ٢٠٠٥: ص ١٨٦٥/٤)

ومع أنّ هناك آراء كثيرة ومتباينة عند بعض المفسرين حول المقصود بالاسم الموصول، أ هو الرسول ﷺ أم غيره؟ ، إلاّ أنّني أرجّح أنّ المقصود به إنّما هو داعية الإسلام الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم ؛ وذلك اعتماداً على وحدة التعبير القرآني في السورة في تصوير ما بين الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام وربّهم . وهذا التوحيد في التعبير مقصود قصدا في سياق السورة .

وعلى هذا يكون المعنى الكلّي للآية: أ فمن كان على دليل ساطع وحجة دامغة من عند ربّه وهو داعية الإسلام النبيّ ﷺ وأتباعه، ويُؤيّده في دعوته شاهد من ربّه وهو القرآن الكريم المعجز لسائر البشر كمن ليس كذلك ؟.(العكبري: ١٩٧٦، ص٦٩٢/٢)

ومنـه قولـه تعـالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨ ﴾ [يوسـف: ١٠٨]

يتجـلّى في هـذه الآيـة أنّ أصحـاب الدعـوة إلى اللـه عليهـم أن يُعلنـوا للنـاس جميعـا عـن هـذا التمييـز، ولا بـدّ لهـم أن يُعلنـوا أنّهـم أمـة وحدهـم، يختلفـون عمّـن لا يعتقـد عقيدتهـم ولا يسـلك مسـلكهم، ولا يكفـي أن يدعـو الدعـاة إلى دينهـم، بـل لا بـدّ لهـم منـذ اليـوم الأول أن يُعلنـوا أنّهـم شيء آخـر غـير الجاهليـة، ويتميّـزون بتجمّـع آخـر آصرتـه عقيـدة التوحيـد . و" هـذه الحقيقـة لم يكـن مجالهـا فقـط هـو الدعـوة النبويّـة في أوسـاط المشركـين .. إنّ مجالهـا هـو مجـال هـذه الدعـوة كلّـما عـادت الجاهليـة فغلبـت عـلى حيـاة النـاس" . (سـيد قطـب، ٢٠٠٥: ص ٢٠٤/٤)

والبنيـة التوليديـة في الآيـة الكريمـة ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي١٠٨﴾ [يوسـف: ١٠٨] لقولـه: (ومـن اتبعنـي) (ومـن اتبعنـي كذلـك) فالجملـة اسـمية مكونـة مـن (مبتـدأ + خـبر) فالاسـم الموصـول في محـلّ رفـع بالابتـداء والجملـة الفعليـة صلتـه، والخـبر محـذوف تقديـره (ومـن اتبعنـي كذلـك) (العكـبري، ١٩٧٦: ٧٤٧/٢) فهـو «يدعـو عـلى بصـيرة كـما أدعـو» (الفـراء، د.ت : ص ٥٥/٢) .

وفي الآيـة دلالـة عـلى أنّ أصحـاب النبـيّ ﷺ والمؤمنـين الذيـن آمنـوا بـه مأمـورون بـأن يقتـدوا بـه في الدعـوة إلى اللـه، أي: الدعـوة إلى الإيمـان بـه وتوحيـده والعمـل بمـا شرعـه لعبـاده بمـا يسـتطيعون، وقـد قامـوا بذلـك . (ابـن عاشـور، : ص٥٦/١٣)، ولعـلّ علّـة التحويـل بحـذف الخـبر هـو أنّـه معلـوم لعطـف الجملـة عـلى الجملـة السـابقة، فكـما أنّ النبـي الداعيـة ﷺ يقـوم بـأداء وظيفـة الدعـوة إلى اللـه، فمـن اتبعـوه مـن المؤمنـين مكلّفـون بالدعـوة مثلـه، فالحـذف جـاء للإيجـاز، ولعـلّ الحـذف جـاء أيضـاً للدلالـة أنّهـم مـا كان لهـم أن يتهاونـوا أو يتخلّفـوا عـمّا قـام بـه قائدهـم وإمامهـم، وهـم المؤمنـون بـه والسـائرون عـلى طريقـه والمسـتنون بسـنّته . ويُفيـد الحـذف إشراك السـامع والقـارئ بإكـمال الخـبر في أذهانهـم، وهـذا الإشراك يُؤثّـر في نفسـية المتلقـي .

وإلى حـذف الخـبر أشـار الجرجـاني قائـلاً: « إذا نكّـرت الخـبر جـاز أن تـأتي بمبتـدأ ثـان، عـلى أن تُشركـه بحـرف العطـف في المعنـى الـذي أخـبرت عـن الأول، وإذا عرّفـت لم يجـز ذلـك . تفسـير ذلـك أنّـك تقـول: (زيـدٌ منطلـقٌ وعمـرو) تريـد (وعمـرو منطلـق أيضـاً)» .(٢٠١٧: ص١٧٨)

حذف خبر إنّ:

ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ٤١﴾ [فصلت: ٤١]

الآيـات الأولى مـن هـذه السـورة فيـه تحـدّ للجاحديـن للدعـوة والمنكريـن للقـرآن، وفيـه وصـفٌ لـه بصفـة الإعجـاز، وفيـه إبطـال معاذيرهـم ومطاعنهـم، فكانـوا يـرون أنّ حجّـة القـرآن غـير مقنعـة لهـم، فجـاءت هـذه الآيـات إبطـالا لتعلّلاتهـم، وكان عـماده عـلى أنّ القـرآن عـربيّ مفصّـل الدلالـة المعروفـة في لغتهـم .

والأصـل التوليـدي للآيـة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾:(الذيـن كفـروا بالذّكـر لمّـا جاءهـم يُجـازون بكفرهـم، أو هالكـون، أو يُعذّبـون) (الشـوكاني، ١٤١٤هــ:ص٥٩٥/٤) و(حمّـوش، ١٤٠٥هــ: ص ٦٤٢/٢) فالجملـة اسـميّة مكوّنـة مـن (مبتـدأ + صلـة الموصـول + خـبر محـذوف) طـرأت عليهـا أكـثر مـن عمليـة تحويليـة، فدخلـت عليهـا الحـرف الناسـخ (إنّ) التـي تـدلّ عـلى التوكيـد، ومـن ثـمّ جـرى فيهـا تحويـل آخـر بحـذف خـبر إنّ، قـال النحّـاس عـن هـذا الإعـراب: هـذا القـول «هـو الإختيـار عنـد النحويـين جميعـاً فيـما علمـت» .(١٤٠٩هــ: ص٢٧٥/٦)

والذكـر هـا هنـا هـو القـرآن في قـول جميـع المفسّريـن؛ لأنّ فيـه ذكـر مـا يُحتـاج إليـه مـن الأحـكام، وهـو كتـاب اللـه المنـزل عـلى النبـيّ الداعيـة، الـذي يضـمّ بـين دفّتيـه مجمـل الدعـوة مـن عقائـد وأحـكام وأخـلاق .

ولعـلّ حـذف الخـبر في الآيـة مرجعهـا أنّـه معلـوم، فقـد تقـدّم ذكـر جـزاء الذيـن كفـروا بآيـات اللـه، في الآيـة السـابقة:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَاۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٤٠﴾ [فصلـت: ٤٠]

وإنّ في حـذف الخـبر هنـا إيحـاءً بـأنّ هـؤلاء المكذّبـين والجاحديـن لا يسـتحقون الـردّ أو الجـزاء، وأنّهـم لـن يـضرّوا الذكـر شـيئاً ؛

لأنّه كتاب عزيزٌ، وما يُؤيّد ذلك عدم الإلتفات إليهم فيما يأتي بعد هذه الآية من آيات في وصف القرآن، فهذا الذكر: ﴿ لا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]

ولعلّ ما ذكره سيّد قطب عن الغرض من حذف الخبر هنا روعة في التعليل ودقّة في البيان حيث يقول: « والنصّ يتحدّث عن الذين كفروا بالذكر لمّا جاءهم ولا يذكر ماذا لهم، ولا ماذا سيقع لهم، فلا يذكر الخبر ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ﴾ كأنّما ليقال: إن فعلتهم لا يوجد وصف ينطبق عليها ويُكافؤها؛ لشدّة بشاعتها ؛ ولذلك يترك النصّ خبر (إنّ) لا يأتي به، ويمضي في وصف الذكر الذي كفروا به؛ لتفظيع الفعلة وتبشيعها .» (سيّد قطب، ٢٠٠٥: ص ٣١٢٦/٥)

رابعاً: التحويل بحذف المسند في جملة إسنادية فعلية:

(حذف الفعل)

ومنه قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ٣٠﴾ [النحل: ٣٠]

يُعلّل التعبير القرآني في سورة النحل عدم إيمان الذين لايستجيبون لدعوة الأنبياء ولا يُؤمنون بالآخرة بأنّ قلوبهم منكرة، واستكبارهم يصدّهم عن الإذعان والتسليم، ثمّ يعرض مقولة هؤلاء المستكبرين إذا سُئلوا: (ماذا أنزلَ ربّكم ؟) فيعدلون عن الجواب الصحيح فيقولون: (أساطيرُ الأوّلين)، أمّا على الجانب الآخر فيُقابل المنكرين المستكبرين المتقين الذين فتحوا قلوبهم وعقولهم للدعوة فيُجيبون عن نفس السؤال جوابا مختلفاً تماماً، فهم يُدركون أنّ الخير هو قوام هذه الدعوة، وقوام ما أنزل ربّهم من أمر ونهي وتوجيه وتشريع، فيُلخصون الأمر كلّه في كلمة (قالوا خيرا) .

والأصل التوليدي لقوله: (قالوا خيرا) هو (قالوا أنزل ربّنا خيرا) فالجملة فعليّة مكوّنة من (فعل + فاعل + مفعول به) وقد طرأ عليها تحويل بحذف الفعل مع فاعله فبقي المفعول به (خيرا) (الزجاج،١٩٨٨:ص١٩٦/٣)، وفي نصب (خيرا) دليلٌ على أنّهم لمّا سُئلوا لم يتلعثموا في الجواب، وأطبقوه على السؤال بيّنا مكشوفا معترفين بخلاف الكفرة .(البيضاوي،١٤١٨هـ:ص٢٢٥/٣)

وعدّ الزركشي التحويل بالحذف هنا من باب حذف الجملة المحكية وإبقاء بعضها .(١٩٥٧:ص٢٠٨/٣) وهذا النوع كثير في العربية كقولنا لأحد: كيف حالك ؟ فيُجيب: بخير، وعلّة الحذف ربّما يرجع إلى أنّ الفعل المحذوف معلوم؛ لتقدّم التصريح به في السؤال، كما أنّ فيه إشارة إلى سرعة جوابهم بالخير؛ لشدّة تعلقهم بما أنزل الله ومحبّتهم له، والتماسهم لخيره .

ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١١١ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١١-١١٢]

وردت هذه الآيات في سياق تفنيد دعاوى أهل الكتاب: اليهود والنصارى، وزعمهم أنّهم هم المهتدون وحدهم، وأنّ الجنّة وقف عليهم ولا يدخلها سواهم، ويتهم كل فريق منهم الآخر بأنّهم ليسوا على شيء . وكانوا يقولون: (لن يدخل الجنّة إلاّ من كان هوداً أو نصارى)، فمقولة كلّ من الفريقين دعوى لا تقوم على دليل، ثمّ يُلقّن الله رسوله ﷺ أن يتحدّاهم ويطلب منهم الدليل بقوله: (قُل هاتوا بُرهانَكم إن كنتم صادقين) .

وهنا يُقرّ التعبير القرآني قاعدة من قواعد التصوّر الإسلامي في ترتيب الجزاء على العمل بلا محاباة لأمّة ولا لطائفة ولا لفرد . إنّما هو الإسلام والإحسان، لا الاسم والعنوان فيقول: (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن) .(سيد قطب، ٢٠٠٥:ص١٠٣/١)

والبنية العميقة لجملة: (بلى من أسلم وجهه لله)هي (بلى يدخُل من أسلم وجهه الجنّة) وهي جملة فعلية مكوّنة من (فعل + فاعل + مفعول به) طرأ على الجملة تحويل بحذف الفعل والمفعول به فبقي الفاعل .(البغوي، ١٩٩٧:ص١٣٧/١) وقد أشارالزمخشري إلى أنّ (مَنْ أَسْلَمَ) يمكن أن "يكون فاعلا لفعل محذوف، أى بلى يدخلها من أسلم، ويكون قوله: (فَلَهُ أَجْرُهُ) كلاما معطوفا على يدخلها من أسلم ." (١٤٠٧هـ:ص١٧٨/١)

ويمكن أن يكون سبب وغاية التحويل بالحذف مرجعها :

أنّ الفعل معلوم فقد سبق ذكره في لآية السابقة .

أنّ (بلى) حرف جواب لإثبات ما نقول من دخول غيرهم الجنة، إذ أنّهم قالوا: لن يدخل الجنة إلا اليهود والنصارى، فأكّد سبحانه أنّه يدخل الجنة غيره ممّن أسلم وأخلص دينه لله بقوله: بلى يدخل من أسلم وجهه لله . حيث حذف الفعل لدلالة ما قبله .

أنّ التركيز هنا على من يدخل الجنّة، لا على دخول الجنّة، فهذا مما يقرّه كل من اليهود والنصارى ؛ ولذلك حذف التعبير فعل الدخول وبادر بذكر من يدخل .

ومنه قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا﴾ [الشمس: ١٣]

حرص الأنبياء والدعاة على دعوة أممهم إلى الامتثال لأوامر الله واجتناب ما نهاهم عنه، ومنها ما ورد في قصة ثمود، وقد ذكر في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وقدتضمّن هذه السورة أنّهم كذّبوا رسولهم صالحاً عليه وعلى نبيّنا الصلاة والسلام، فلم يستجيوا لدعوته ولم يُذعنوا لما أمرهم به من الابتعاد عن أذية الناقة التي هي آية الله لهم، وكان الطغيان هو السبب الوحيد لتكذيبهم، فقام أشقاهم بعقر الناقة، مع أنّ الرسول الداعية من حرصه على عاقبتهم قد حذّرهم من هذه الفعلة الشنيعة .

والأصل التوليدي لقوله ﴿ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا﴾: (ذروا ناقة الله)(الزجاج،١٩٨٨: ص٣/٥) أو: (احذروا ناقة الله وذروا سقياها)(النحاس،١٤٢١هـ: ص١٤٧/٥) فالجملة فعلية إنشائية طلبية مكونة من (فعل + فاعل + مفعول به) طرأ عليها تحويل بحذف الفعل مع فاعله.

ويذكر الرازي أنّ الداعية وهو صالح عليه السلام كان يُحذّرهم حالاً بعد حال من عذاب ينزل بهم إن أقدموا على عقر الناقة، فكانت الحالة متصوّرة في نفوسهم، فاقتصر على قوله لهم: (ناقةَ اللهِ وسقياها) ؛لأنّ هذه الإشارة كافية لفهمهم .ويرى أيضاً أنّ كلمة (ناقة)» نُصب على التحذير، كقولك: الأسدَ الأسدَ، والصبيَّ الصبيَّ، بإضمار ذروا عقرها، واحذروا سقياها .» (الرازي، ١٤٢٠:ص١٧٩/٣١)

ويرى الزركشي أنّ علة التحويل بالحذف في الآية هي التنبيه على أنّ الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف، وأنّ الاشتغال بذكره يُفضي إلى تفويت المهمّ، ويرى أنّ التحذير والإغراء قد اجتمعا في الآية وتقدير المحذوف: احذروا ناقةَ الله فلا تقربوها والزموا سقياها . (١٩٥٧:ص١٠٥/٣)

المبحث الثاني

التحويل بالحذف في مكمّلات التركيب الإسنادي

حذف المفعول به:

ومن حذف المفعول به للإيجاز قوله تعالى: ﴿٩٩ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ٩٩﴾ [يونس: ٩٩]

في هذه الآية بيان للقاعدة الكليّة للكفر والإيمان، فالإيمان متروك للاختيار، ولا سبيل إليه بالإكراه، ولو شاء الله لخلق الجنس البشري كالملائكة بصورة لا يعرف إلاّ طريقاً واحداً وهو طريق الإيمان . لكنّ حكمته اقتضت وجود الخلاف، فمن رام اتفاقهم على الإيمان فقد رام المحال .

والأصل التوليدي للآية الكريمة ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ ﴾ : (ولو شاء ربّك أن يُؤمن من في الأرض جميعا لآمنوا ...) فجملة الشرط مكوّنة من (فعل + فاعل + مفعول به) طرأ عليها تحويل بالحذف وذلك بحذف

المفعـول بـه لفعـل المشـيئة، لوجـود مـا يقتضيـه مـن وقوعهـا شرطـاً وكـون مفعولهـا مضمـون الجـزاء ، وهـذا الحـذف هـو الغالـب في فعـل المشـيئة في النصـوص القرآنيـة .

والداعـي البلاغـي للتحويـل بالحـذف هنـا: «الإيجـاز والتشـويق بالإبهـام ليـأتي البيـان بعـده شـافياً مـع داعـي إمتـاع أهـل الفكـر بالاسـتنباط والاسـتخراج الفكـري، اعتـماداً على دلالات القرائـن» .(الميـداني،١٩٩٦، ص ٣٤٥/١)

وقـد تطـرّق عبدالقاهـر الجرجـاني إلى التحويـل بحـذف المفعـول بعـد فعـل المشـيئةفي دلائـل الإعجـاز، وسـمّاه (الإضـمار عـلى شريطـة التفسـير) ويذكـر أنّ فيـه مـن دقيـق الصنعـة وجليـل الفائـدة مـا لا تجـده إلاّ في كلام الفحـول . (الجرجـاني، ٢٠١٧، ص١٦٣)

وبالإضافـة إلى مـا سـبق فقـد ذكـر الدكتـور حيـدر عبيـد رأيـاً أميـل إليـه إذ علّـل لمثـل هـذا الحـذف بقولـه: «ولعـلّ في حـذف مفعـول فعـل المشـيئة بيـان لسرعـة إنفـاذ مـا يشـاء اللـه سـبحانه، فإنّـه بمجـرد أن يشـاء يحصـل الأمـر المقصـود، وليـس هـو يشـاء الفعـل ثـمّ يُحدثـه؛ لأنّ ذلـك يُشـعر بـشيء مـن الاسـتطالة الزمنيـة أو التراخـي، وهكـذا الأمـر بالنسـبة لعامـة النـاس، فـإنّ أحدهـم إن أراد بيـان مقدرتـه عـلى سرعـة إنجـاز الفعـل حـذف المفعـول، وإن أراد بيـان مقدرتـه التامـة عـلى إنجـاز الفعـل سـواء بـتراخ أم بسرعـة صرّح بالمفعـول». (٢٠١٣، ص١٢٩)

ومـع معرفـة أنّ هـذا الحـذف بعـد فعـل المشـيئة في القـرآن كثـير، إلاّ أنّـه ينبغـي» أن يُتمهّـل في تقديـر مفعـول فعـل المشـيئة، فإنّـه يختلـف المعنـى بحسـب التقديـر، ألا تـرى إلى قولـه تعـالى: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾ فـإنّ التقديـر كـما قالـه عبـد القاهـر الجرجـاني: ولـو شـئنا أن نـؤتي كلّ نفـسٍ هداهـا لآتيناهـا . لا يصـحّ إلاّ عـلى ذلـك؛ لأنّـه إن لم يُقـدّر هـذا المفعـول أدّى والعيـاذ باللـه إلى أمـرٍ عظيـمٍ، وهـو نفـي أن يكـون للـه مشـيئة عـلى الإطـلاق، لأنّ مـن شـأن (لـو) أن يكـون الإثبـات بعدهـا نفيـا، ألا تـرى أنّـك إذا قلـت: (لـو جِئتنـي أعطيتُـك) كان المعنـى عـلى أنّـه لم يكـن مجـيءٌ ولا عطـاء» (الزركـشي، ١٩٥٧: ص ٣/ ١٦٩)

وقـد ذكـر أبـو حيـان الأندلـسي (ت ٧٤٥هـ) أنّ هـذه الآيـة قـد نزلـت في أبي طالـب، لأنّ النبـيّ ﷺ أسـف عـلى موتـه عـلى ملّـة عبدالمطلـب وكان حريصـاً عـلى إيمانـه، وقيـل نزلـت في العـرب، ومنهـم أهـل مكـة . (١٤٢٠هـ ص ١٠٨/٦)، وقـد أشـار ابـن عجيبـة إلى أنّ « في الآيـة تسـلية لأهـل التذكـير حـين يـرون النـاس لم ينفـع فيهـم تذكيرهـم، وفيهـا تأديـب لمـن حـرص عـلى هدايـة النـاس كلهـم، أو يتمنـى أن يكونـوا كلّهـم خصوصـاً، فـإن هـذا خـلاف حكمتـه تعـالى. قـال تعـالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨١٨﴾ [هـود: ١١٨] فالداعـون إلى اللـه لا يكونـون حُرصـاً عـلى النـاس أبـداً، بـل يدعـون إلى اللـه، ويذكـرون باللـه، وينظـرون مـا يفعـل اللـه اقتـداء بنبـي اللـه، بعـد أن علّمـه اللـه كيـف يكـون مـع عبـاد اللـه» (١٤١٩هـ: ص ٥٠٠/٢)

وهـذه الآيـة مرتبطـة ومكمّلـة لمـا سـبقتها مـن الآيـات في هـذه السـورة، فجملـة: (وَلَـوْ شاءَ رَبُّـكَ لَآمَـنَ مَـنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُـمْ جَمِيعـاً) معطوفـة عـلى جملـة: (إِنَّ الَّذِيـنَ حَقَّـتْ عَلَيْهِـمْ كَلِـمَات رَبِّـكَ لَا يُؤْمِنُـونَ) [يُونُـس: ٩٧] لتسـلية النبـيّ ﷺ عـلى مـا لقيـه مـن قومـه . وهـذا تذييـل لمـا تقـدّم مـن مشـابهة حـال قريـش مـع النبـي ﷺ بحـال قـوم نـوح وقـوم مـوسى وقـوم يونـس . (ابـن عاشـور، ١٩٨٤: ص ٢٩٢/١١)

وإلى هـذا الحـذف وعلّتـه أشـار أبـو السـعود بقولـه: « ومفعـول المشـيئة محـذوف؛ لوجـود مـا يقتضيـه مـن وقوعهـا شرطـاً، وكـون مفعولهـا مضمـون الجـزاء، وألاّ يكـون في تعلّقهـا بـه غرابـة كـما هـو المشـهور، أي: لـو شـاء سـبحانه إيمـان مـن في الأرض مـن الثقلـين لآمـن كلّهـم بحيـث لا يشـذّ عنهـم أحـد» (أبـو السـعود:د.ت ،ص ١٧٧/٤) و سـياق هـذه الآيـة سـياق طمأنـة النبـيّ ﷺ بعـد طـول دعوتـه للنـاس.

وتجـدر الإشـارة إلى أنّ (لَـو) تقتـضي انتفـاء جوابهـا لانتفـاء شرطهـا، فالمعنـى: لكنّـه لم يشـأ ذلـك، فاقتضـت حكمتـه خلقـه هـذا الكائـن البـشري باسـتعداد للخـير والـشرّ وللهـدى والضـلال، ومنحتـه القـدرة عـلى اختيـار هـذا الطريـق أو ذاك ، مهـما حـرص الأنبيـاء والدعـاة عـلى إيمـان مـن يقومـون بدعوتهـم وإنذارهـم فـإنّ ذلـك غـير ناجـع فيهـم. فالإيمـان إذن مـتروك للاختيـار ولا يُكـره الرسـول أو الداعـي عليـه أحـداً؛ لأنّـه لا مجـالَ للإكـراه في مشـاعر القلـب وتوجّهـات الضمـير . (قطـب، ٢٠٠٤: ص ١٨٢١/٣)

ومنـه قولـه تعـالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ ﴾ [فصلت:٣٣، ٣٤]

يبـيّن اللـه تعـالى في هـذه الآيـات طريقـة الدعـوة وخلـق الداعيـة، فيرسـم صـورة الداعيـة إلى اللـه، ويصـف روحـه ولفظـه، وحديثـه وأدبـه، ويوجّـه إليهـا رسـوله ﷺ وكلّ داعيـة مـن أمّتـه. فـإنّ القيـام بواجـب الدعـوة في مواجهـة التـواءات النفـس البشريـة، وجهلهـا، واسـتكبارها، وحرصهـا عـلى شـهواتها وعـلى مصالحهـا لَأمـر شـاقّ. فعـلى الداعيـة أن يتقـدّم إلى مواجهتهـم بالحسـنة، مهـما تلقّـوا كلمتـه ودعوتـه بالإعـراض، أو بسـوء الأدب؛ فهـو في المقـام الرفيـع، وعليـه أن يتصـف بأعظـم الأخـلاق، وعليـه أن يصـبر عـلى جهالـة المشركـين وأذيتهـم، وعليـه أن يُقابـل إسـاءتهم بالإحسـان .

وقـد طـرأ عـلى البنيـة العميقـة للآيـة تحويـل بحـذف المفعـول بـه للفعـل (ادفـع) ليُفيـد بالحـذف العمـوم والإطـلاق، فشـمل دفـع كلّ مـا هـو سيّءٌ تأدّبـاً، وتسـامحاً . وفيـه أيضـاً إيجـاز واختصـار. وتقديـر الجملـة في البنيـة العميقـة (ادفـع السـيّئة بالتـي هـي أحسـن) (الزجّـاج، ١٩٨٨: ص٣٨٦/٤) فالجملـة التحويليـة عـلى هـذا فعليّـة حـذف منهـا المفعـول بـه لفظـاً ليـدلّ عـلى العمـوم والشـمول، ويـدلّ عـلى المحـذوف سـياق الـكلام ومعنـاه، وإنّ لمثـل "هـذا الحـذف في الـكلام مـع الدلالـة عـلى المـراد فائـدة، لأنّ النفـس تذهـب فيـه كلّ مذهـب، ولـو ورد ظاهـراً في الـكلام لاقتـصر بـه عـلى البيـان الـذي تضمّنـه" (الخفاجـي، ١٩٨٢: ص ٢١٠) فيكـون الحـذف عندئـذ أبلـغ .

وإلى غـرض حـذف المفعـول أشـار الدكتـور عبدالسـتار الجـواري بقولـه:" والحـقّ أنّ ورود الفعـل المسـتحقّ للمفعـول بـلا مفعـول إنّمـا يكـون مقصـوداً بـه إطـلاق الفعـل في كلّ مـا يسـمح المقـام بتصـوّره مفعـولاً لذلـك الفعـل دون النـص عـلى اسـم بعينه".(الجـواري، ١٩٧٤: ص ٣٦)

وعـن سـبب نـزول الآيـة "قـال القفّـالُ: الظاهـر أنّهـا نزلـت عقـب قصّـة أحُـد، والمعنـى أنّهـم أمـروا بالصـبر عـلى مـا يُـؤذون بـه الرسـول ﷺ" (الـرازي، ١٤٢٠هـ: ص ٤٥٤/٩) وفي بيـان المقصـود بـ (التـي هـي أحسـن) قـال ابـن عبـاس: (ادفـع بالتـي هي أحسـن): الصـبر عنـد الغضـب والعفـو عنـد الإسـاءة، فـإذا فعلـوه عصمهـم اللـه، وخضـع لهـم عدوهـم (كأنـه ولي حميـم) (البخـاري، ١٩٩٣: ص ١٨١٨/٤) وقـد ذهـب أبـو السـعود في بيـان المقصـود بـ (التـي هـي أحسـن) إلى أبعـد مـن ذلـك قائـلاً : " أي: ادفـع السـيّئة حيـث اعترضتـك مـن بعـض أعاديـك بالتـي هـي أحسـنُ مـا يُمكـن دفعهـا بـه مـن الحسـنات كالإحسـان إلى مـن أسـاء فإنّـه أحسـن مـن العفـو" . (د.ت، ص ١٤/٨)

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣﴾ [الضحى: ١-٣]

تـولّى اللـه سـبحانه رسـوله الكريـم ﷺ بالعنايـة والرعايـة، وتتابـع نـزول الوحـي عليـه، وقـد روي أنّ نـزول الوحـي قـد تأخّـر عـن رسـول اللـه ﷺ أيّامـاً، فقـال المشركـون: أنّ محمـدا قـد ودعـه ربّـه وقـلاه، فنزلـت الآيـات ليُؤكـد دعـم اللـه سـبحانه لداعيتـه وليُبـيّن أنّ احتبـاس الوحـي لم يكـن عـن تـرك اللـه لنبيّـه وتوديعـه إيّـاه، ولكـن لتوقّفـه عـلى المصلحـة .(الزمخـشري:٢٠٠٣ ،ص٢٩/٣)

والبنيـة التوليديـة لجملـة (ومـا قـلى): (مـا قـلى ربّـك النبـيّ) مكوّنـة مـن (فعـل + فاعـل + مفعـول بـه) طـرأ عليهـا تحويـل بحـذف الفاعـل لسـبق ذكـره وعطفـه عـلى قولـه (مـا ودّعـك ربّـك)، ونـاب الضمـير المتصـل للمخاطـب عـن كلمـة النبـيّ بعـد تحويـل الحـوار إلى الخطـاب فصـارت الجملة:(مـا قـلاك) (العكـبري: د.ت، ص٢٨٩/٢)،ثـمّ جـرى عليهـا التحويـل بحـذف المفعـول بـه، لدلالـة مـا قبلـه عليـه .

وقـد ذهـب البيضـاوي إلى أنّ حـذف المفعـول بـه هنـا هـو " اسـتغناء بذكـره مـن قبـل، ومراعـاة للفواصل"(البيضـاوي:٤١٨هـ ،ص٥٠١/٥) وقـد ذهـب إلى هـذا الـرأي أيضـاً ابـن هشـام في معـرض حديثـه عـن حـذف المفعـول فيقـول: "يجـوز حـذف المفعـول لغـرض إمّـا لفظـيّ كتناسـب الفواصـل أو معنـويّ كاحتقـار" وقـد مثّـل للغـرض اللفظـيّ بهـذه الآية(الأنصـاري: ١٩٧٩،ص١٨٤/٢)، وقـد سـبق في فصـل التحويـل بالترتيـب بيـان مـا نميـل إليـه مـن الآراء عـلى عـدّ رعايـة الفاصلـة مـن أغـراض

التحويلات الموجودة في القرآن الكريم .

ولكنّ الدكتورة عائشة عبدالرحمن كانت أقرب إلى تحليل جمالية الحذف في هذه الآية حين قالت: "هذا الحذف تقتضيه حساسية معنويّة بالغة الدقّة واللطف والإيناس، وهي تحاشي خطابه تعالى لحبيبه المصطفى: (ما قلاك)؛ لما في القلي من الطرد والإبعاد وشدّة البغض، أمّا التوديع فلا شيء فيه من ذلك . بل الحسّ اللغويّ فيه يُؤذن بالفراق على كره مع رجاء العودة" (بنت الشاطئ: ١٩٦٢، ص٢٥) وعلى هذا فإنّ العدول عن الخطاب المباشر إلى الخطاب غير المباشر حصل مراعاة لخاطر النبيّ ﷺ .

وفي الآية "إبطال قول المشركين إذ زعموا أنّ ما يأتي من الوحي للنبيّ ﷺ قد انقطع عنه، وزاده بشارة بأنّ الآخرة خير له من الأولى، وأنّه سيُعطيه ربّه ما فيه رضاه" (ابن عاشور: ١٩٨٤،ص٣٩٣/٠).

فهكذا بيّن التعبير القرآني بصورة دقيقة وبديعة كمال عناية الله سبحانه بداعيته، ودحضه لمزاعم وافتراءات المشركين .

حذف التمييز

ومنه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ٦٥﴾ [الأنفال: ٦٥]

في ختام سورة الأنفال يذكر الله سبحانه منّه على داعية دينه الرسول ﷺ وأتباعه في تأليف قلوبهم، ويُطمئنهم إلى كفايته لهم وحمايته، ومن ثمّ يأمر داعيته ﷺ بتحريضهم على القتال والاستعداد للتضحية بأموالهم وأنفسهم دفاعاً عن الدعوة ومبادئها السامية، ويُريهم أنّهم بفضل إيمانهم ـ إذا صبروا ـ أكفاء لعشرة أضعافهم من الذين كفروا لأنّهم لايؤمنون .

والأصل التوليدي لجملة الشرط (إن يَكُن مِّنكُم عِشرُونَ صَٰبِرُونَ): (عشرون رجلاً صابرون منكم ...) وقد طرأ على الجملة تحويلٌ بحذف التمييز بعد العدد (عشرون)(الطبري، ٢٠٠١: ص ٢٦١/١١) ، ويبدو أنّ حذف التمييز هنا قد جرى لأنّ التركيز هنا على العدد؛ لا على نوع المعدود لأنّه معلومٌ بالضرورة ، فربّما كان في نفوس المؤمنين خوف من كثرة عدد الكفّار وقلّة عدد المسلمين، فجاءت الآية بالتركيز على العدد؛ لتؤكّد أنّ الغلبة ليست بالعدد وإنّما بقوة الإيمان وثبات العقيدة وتمام التأييد من الله سبحانه، الذي يصنع المقاتل الذي لا يُقهر لقوة إيمانه بالدعوة إلى الإسلام الذي ارتضاه للبشرية.

وهذه الآية عند جمهور أهل العلم نزلت بعد انقضاء وقعة بدر، وحكم الآية شرع شرعه الله على المسلمين بسبب تلك الغزوة لتوقّع حدوث غزوات يكون جيش المسلمين فيها قليلاً كما كان يوم بدرٍ، وهذا الحكم باقٍ غير منسوخ عند جمهور أهل العلم، وروي أيضاً هذا عن ابن عباس.(ابن عاشور، ١٩٨٤: ص ٢٨٧/٩) وقد وردت الآية في سياق آيات تؤكّد على المعنى والمفهوم نفسه، منها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤]، فمهّد بالقول بأنّ نصر الله وتأييده كافٍ وإن كان الأتباع قلّة، ثمّ يأمر بعدها بتحريض المؤمنين وحثّهم على القتال، ويُبيّن لهم أنّ التفوّق على العدوّ ليس بالعدد بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ ٦٥﴾ [الأنفال: ٦٥] وتركّز الآية التالية أيضاً على العدد لا المعدود: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٦٦ ٦٦﴾ [الأنفال: ٦٦]

وخلاصة القول أنّ التحويل بحذف التمييز مرجعه تركيز الآية على إزالة معنى غير صحيح كان يدور في أذهان بعض المؤمنين، وهو أنّ النصر والغلبة في القتال يعتمد على العدد، ومن هنا كان التركيز على العدد لا المعدود، وهذا مناسب لسياق الآيات .(عبيد،٢٠١٣: ١٤٧- ١٤٨)

حذف الحال:

ومنـه قولـه تعـالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٦٨﴾ [الأنعـام: ٦٨]

في هـذه الآيـة ومـا سـبقتها مـن الآيـات مـن سـورة الأنعـام تقريـر للمفاصلـة التـي ينبغـي أن تقـوم بـين الداعيـة ـ الرسـول ـ ﷺ وبـين قومـه الذيـن كذّبـوا بمـا جاءهـم بـه، وأُمـر الداعيـة أيضـاً بعـدم مجالسـتهم ــ حتّـى للبـلاغ والتذكير ــ إذا رآهـم يخوضون في آيـات اللـه، ويتّخذونـه لهـواً ولعبـا، حتـى لا تكـون مجالسـتهم موافقـة ضمنيّـة عـلى مـا هـم فيـه أو قلّـة غـيرة عـلى الديـن.

والأصـل التوليـدي لقولـه: ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ ﴾: (وإذا رأيـت الذيـن يخوضـون في آياتنـا وهـم خائضـون فيهـا) أي: وإذا رأيتهـم ملتبسـين بهـذه الحالـة، وقـد طـرأ عـلى الجملـة تحويـل بالحـذف، فـ (رأى) في الآيـة بصريّـة لذلـك تعـدّت إلى مفعـول واحـد، ولا بـدّ مـن تقديـر حـال محذوفـة .(الأندلـسي، ١٤٢٠هــ: ص٥٤٥/٤)

والخطـاب في الآيـة للداعيـة الـذي هـو الرسـول ﷺ، ويدخـل فيـه المؤمنـون فحكمهـم كحكمـه، لأنّ علّـة النهـي وهـو سـماع خوضهـم في آيـات اللـه بالاسـتهزاء والسـخرية يشـمل الداعيـة ويشـمل جميـع المؤمنـين بالتبعيـة، والإعـراض هنـا هـو تـرك الجلـوس إلى مجالسـهم والقيـام عنهـم، وفائـدة هـذا الإعـراض زجرهـم وقطـع الجـدال معهـم لعلّهـم يرجعـون عـن عنادهـم. وقيـل الخطـاب خـاص بالرسـول ﷺ لأنّ قيامـه عنهـم كان يشـقّ عليهـم . (ابـن عاشـور، ١٩٨٤:ص٢٨٩/٧) وقـد أفـاد الحـذف إطـلاق التعبـير وتركـه لفهـم المتلقـي وتصـور لحالـة الخائضـين الآنيـة في فعلتهـم الشـنيعة .

حذف المضاف:

حذف المضاف في اللغة على نوعين:

أن يُحذف المضاف ويُقام المضاف إليه مقامه .

أن يُحذف المضاف مع بقاء عمله في المضاف إليه، أي مع بقاء الأثر الإعرابي الدالّ عليه.

والغالـب في النـوع الأوّل وجـود قرينـة عقليـة أو حاليـة تـدلّ عـلى مضـاف محـذوف، ويـرى القدمـاء مـن النحـاة والأصوليـين أنّ تقديـر المضـاف المحـذوف سـائغ مطّـرد في كلّ مـا نُسـب حكـم شرعـي إلى الـذات لأنّ الطلـب لا يتعلّـق إلاّ بالأفعال.(الأنصـاري، ١٩٨٥:ص٨١١)

ويـرى كثـير منهـم أنّ حـذف المضـاف للاتسـاع كثـير جـداً في اللغـة، فابـن جنّـي يتوسّـع في حـذف المضـاف وإقامـة المضـاف إليـه مقامـه، ويذكـر أنّ منـه في القـرآن الكريـم ثلاثمائـة موضـع، ويضـع لـه قاعـدة عامـة وهـو: وضـوح الدليـل عـلى المحـذوف .(٢٠٠٨:ص٤٥٢/٢)

ومنـه قولـه تعـالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١٠﴾ [البقرة: ٢٦١]

هـذه الآيـة وردت في سـياق الحـث عـلى الإنفـاق في سـبيل اللـه، وهـي مـن فضائـل الأخـلاق التـي تركّـز عليهـا الدعـوة، ويحـثّ عليـه التعبـير القـرآني في أكـثر مـن موضـع، وهـي أوّل اثنتـي عـشرة آيـة تبـيّن أجـر الإنفـاق، ووجوهـه، وتُحـذّر مـن إبطالـه وذهـاب أجـره بالمـنّ والأذى.

قـال الواحـديّ أنّ هـذه الآيـة "نزلـت في عثـمان بـن عفّـان وعبدالرحمـن بـن عـوف، ذلـك أنّ رسـول اللـه ﷺ حـين أراد الخـروج إلى غـزوة تبـوك حـثّ النـاس عـلى الإنفـاق في سـبيل اللـه . وكان الجيـش يومئـذ بحاجـة إلى الجهـاز ـ وهـو جيـش العـسرة ـ فجـاءه عبدالرحمـن بـن عـوف بأربعـة آلاف، وقـال عثـمان بـن عفّـان: عـليّ جهـاز مـن لا جهـاز لـه، فجهّـز الجيـش بألـف بعـير ". (١٩٩٢: ص٨٧)

والبنيـة العميقـة لقولـه تعـالى: ﴿٢مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ ﴾: (مثـل الذيـن يُنفقـون أموالهـم في سـبيل اللـه كمثـل بـاذر حبّـة) أو (مثـل نفقـة الذيـن يُنفقـون أموالهـم في سـبيل اللـه كمثـل حبّـة)، يـرى الزمخـشري أنّ

حذف المضاف في الآية أمرٌ لابدّ منه فقال:» لا بدّ من حذف مضاف، أي: مثل نفقتهم كمثل حبة، أو مثلهم كمثل باذر حبة. والمنبت هو اللّه، ولكن الحبة لما كانت سببا أُسند إليها الإنبات كما يسند إلى الأرض وإلى الماء. ومعنى إنباتها سبع سنابل، أن تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب، لكلّ واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للإضعاف، كأنّها ماثلة بين عيني الناظر . (الزمخشري، ١٤٠٧هـ: ص٣١٠/١)

فهذا مثلٌ ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب والأجر لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، فذكر أنّ الحسنة تُضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، ويرى الآلوسي أيضاً أنّه لا بُدّ من تحويل قد طرأ على الآية بحذف المضاف على كلا التقديرين، فلولا ذلك لم يصحّ التمثيل . (الآلوسي، ١٤١٥ه :ص٣٢/٢)

وأيّاً كان المضاف المحذوف، فإنّ في حذفه تعظيماً للمنفقين في سبيل الله، حيث جعلهم القرآن الكريم هم المضاعفون، إشارة إلى عظمتهم المعنوية، «ومضاعفة الله لقوة إيمانهم وطاقتهم الروحية حتّى يتضاعفون هم وتعظم منزلتهم عند الله ، فضلا عن مضاعفة الأجر الذي يُكتب لهم، ولو قيل: (مثَل نفقتهم) لَانحصر المضاعفة على الأجر فقط، ولكنّ التعبير القرآني بحذفه للمضاف جمع المعنيين: مضاعفة منزلتهم المعنوية ومضاعفة أجرهم . وقد صرّح القرآن الكريم في أكثر من موضع بتعظيم عباد الله الصالحين حتّى كأنّ موضوع اللفظ لَيوحي بعظم المكانة، من ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ ﴾. [النحل: ١٢٠] (عبيد، ٢٠١» ص١٦٢)

وما كلّ هذا التكرار للإنفاق والتحويل بالحذف الذي جرى في الآية إلاّ لبيان عظمة الإنفاق في سبيل الله، وعظمة المنفق، كما أنّ في تمثيل النفقة بالحبّة المذكورة إشارة إلى البعث وعظيم القدرة، إذ حبّة واحدة يُخرج الله منها سبعمائة حبّة، فمن كان قادراً على هذا الأمر العظيم قادرٌ على إحياء الموات .

حذف المضاف إليه:

الغرض من ذكر المضاف إليه تعريف المضاف أو تخصيصه، فيُفيد تعريفه إذا كان المضاف إليه معرفة نحو: (بابُ المدرسةِ)، ويُفيد تخصيصه إذا كان نكرةً نحو: (بابُ مدرسةٍ). ونظراً للوظيفة التي تُؤدّيه فالأصل في الكلام عدم حذفه، ولكن مع ذلك نرى أنّه يُحذف حين يكون لحذفه علّة وفائدة، وفي حين يرى ابن الأثير أنّ حذفه قليل الاستعمال(١٩٩١: ص١٠٠/٢)، يرى السيوطي أنّ حذفه كثير في مواضع : (١٩٧٤: ص/٢٠٦)

في ياء المتكلّم إذا أُضيف إليها المنادى نحو قوله تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ ﴾ [نوح: ٢٨]، فالمختار حذفه . (السيرافي،٢٠٠٨:ص ٨٣/١)

بعد ألفاظ الغايات، ومنه قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ ﴾ [الروم: ٤] أي من قبل الغلب ومن بعده، وقد حُذف المضاف إليه لدلالة السياق عليه .

بعد ألفاظ: (كلّ وبعض وأيّ)، وهو كثير في القرآن، نحو قوله تعالى: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦﴾ [البقرة: ١١٦] (الأنصاري،١٩٨٥:ص٨١٤) و (حمودة، ١٩٩٨:ص٢٣٩-٢٤٠)

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾ [هود: ٨٥]

سبق أن بيّنا في التمهيد أنّ دعوة الأنبياء، تبدأ بالدعوة إلى التوحيد وعدم الإشراك بالله، وبعد الدعوة إلى التوحيد يشرع الدعاة في الأهمّ ثمّ الأهمّ، فيدعون إلى التخلّق بأسمى الأخلاق وأنبل الصفات، ونبذ الصفات الذمية المنتشرة في ذلك المجتمع، كي يستتبّ العدل في الحياة . ولمّا كان المعتاد من أهل مدين البخس والخيانة في المكيال والميزان، دعاهم شعيب عليه السلام إلى ترك هذه العادة قائلاً: (أوفوا المكيال والميزان بالقسط) .

والأصل التوليدي لقوله (يا قوم): (يا قومي) وقد طرأ عليه تحويل بحذف المضاف إليه (ياء المتكلّم)، وبقيت الكسرة تدلّ عليها. (الزجاج، ١٩٨٨ :ص١٣٥/١)

هـذا النـوع مـن حـذف المضاف إليـه كثـير في القـرآن الكريـم ولا سـيّما مقامـات الدعـوة إلى اللـه في التراكيـب والآيـات القرآنيـة، فنجـد أنّ هـذه العبـارة قـد تكـررت في القـرآن الكريـم تسـعا وأربعـين مـرة عـلى لسـان الأنبيـاء والدعـاة .

فاللـه سـبحانه في هـذ الآيـات "أمـر رسـوله ﷺ بـأن يُناديهـم ويُهدّدهـم . وأمـر أَن يبتـدىء خطابهـم بالنـداء للاهتـمام بمـا سـيُقال لهـم؛ لأنّ النـداء يسـترعي إسـماع المنادَيـن" (ابـن عاشـور، ١٩٨٤:ص٨ ـ أ/٩٠)،ويـرى الآلـوسي أنّ الدعـاة والأنبيـاء نـادوا أقوامهـم بإضافتهـم إليهـم عليهـم السـلام اسـتعطافا لهـم، واسـتمالة لقلوبهـم كي يذعنـوا إلى الحـقّ وإلى مـا يدعونهـم إليـه مـن الأخـلاق الفاضلـة والقيـم النبيلـة التـي يحصلـون بالتخلّـق بهـا عـلى السـعادة في الدنيـا والفـوز بالجنـان ومرضـاة اللـه في الآخـرة، فـإنّ في هـذا الأسـلوب مـن لطـف الدعـوة إلى اتبـاع الحـقّ والإرشـاد إليـه مـا لا يخفـى. (١٤١٥هــ:ص٦/٢٧٤- ٢٧٨)

ولعـلّ الغايـة مـن التحويـل بحـذف المضـاف إليـه هنـا هـي اغتنـام فرصـة إقبـال المخاطبـين مـن أجـل إلقـاء طلـب الامتثـال منهـم لمراعـاة العـدل في مكيالهـم وميزانهـم عنـد البيـع والـشراء، حتـى لا يشـملهم وعيـد اللـه للذيـن يحيـدون عنهـا بالويـل: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ﴾ [المطففين: ١-٣]، وليـس المقـام في الآيـة تخصيـص هـؤلاء القـوم بالداعيـة القائـل، فـإن كان المقـام مقـام تخصيـص ذكـر المضـاف إليـه كـما في قولـه تعـالى عـلى لسـان العبـد المؤمـن الـذي دعـا قومـه لاتبـاع الحـقّ فقتلـه قومـه فأصبـح شـهيداً، فلـما اسـتُقبل وقيـل لـه أدخـل الجنّـة: ﴿ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴾ [يـس: ٢٦] .

ومنـه قولـه تعـالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [الإسراء:٢٣، ٢٤]

اشـتملت هـذه الآيـات عـلى جوامـع الإصـلاح، إصـلاح الفـرد والمجتمع،ففـي هـذه الآيـات الدعـوة إلى توحيـد اللـه بالعبـادة وأُتبِـع ذلـك بالأمـر والدعـوة إلى الإحسـان بالوالديـن، فقـد ابتـدأت الآيـات بذكـر أصـل الشريعـة وهـو التوحيـد والنهـي عـن عبـادة غـير اللـه لأنّ ذلـك هـو أصـل الإصـلاح؛ فإصـلاح التفكـير مقـدّم عـلى إصـلاح العمـل، فالعقـل إذا لم يكـن صالحـاً لايُطلـب منـه ولا يُتوقّـع منـه الصالحـات، فبصـلاح القلـب والعقـل يـأتي صـلاح الجسـد كلّـه، ثـمّ شرع في بيـان الأصـل الثـاني مـن أصـول الشريعـة وهـو بِـرّ الوالديـن، فأمـر بالإحسـان إليهـما بالعبـارات النديّـة والصـور الموحيـة، التـي يسـتجيش بهـا القـرآن الكريـم وجـدان البـرّ والرحمـة في قلـوب الأبنـاء . (ابـن عاشـور،١٩٨٥ :ص٤٥-٦٢)

والأصـل التوليـدي لقولـه تعـالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا ﴾ هـو: (وقُـل يـا ربّي ارحمهـما كـما ربّيـاني صغـيراً) ، فقـد حُـذف حـرف النـداء، كـما طـرأ عـلى الجملـة أيضـاً تحويـل بحـذف المضـاف إليـه بعـد المنـادى (ربّ)، وهـذا الحـذف جائـز في اللغـة، إلاّ أنّ حذفـه أكـثر مـن إثباتـه كـما يتضّـح مـن كلام سـيبويه (١٩٨٨:ص٢/٢٠٩-٢١٠)، كـما أنّ ذلـك كثـير في القـرآن الكريـم، ولا سـيّما في مواضـع الدعاء(الزركـشي، ١٩٥٧:ص٣/٢٥٠)،فقـد أحـصى منـه صاحـب كتـاب (المعجـم المفهـرس لألفـاظ القـرآن الكريـم) أكـثر مـن سـتين موضعـاً .(عبـد الباقـي،١٦٤هـ: ص٢٨٧) ويكـون الحـذف لغـرض التخفيـف والتلهـف إلى تحقّـق المدعـوّ بـه .

وإلى حـذف يـاء المتكلّـم والغـرض منـه أشـار الدكتـور فاضـل السـامرائي قائـلا: «قـد تُحـذف يـاء المتكلّـم ويُجتـزأ عنهـا بالكـسرة، وذلـك لا يكـون إلاّ لغـرض، فإنّـه قـد تُذكـر اليـاء في مقـام الإطالـة والتفصيـل، وتُحـذف ويُجتـزأ عنهـا بالكـسرة في مقـام الإيجـاز والاختصـار، وقـد تُحـذف لغـرض آخـر يقتضيـه المقـام .» (٢٠٠٦:ص٢١)

ويـرى الدكتـور حيـدر عبيـد أنّ المقـام مقـام الدعـاء فلعـلّ غايـة التحويـل الـذي جـرى بحـذف المضـاف إليـه هـي» الاسـتعجال في تقديـم العبـد حاجتـه أمـام ربّـه؛ وليتضمّـن ذلـك تعجيـل العبـد التوجّـه بقلبـه وروحـه إلى اللـه ليكـون الدعـاء أقـرب إلى الإجابـة .» (٢٠١٣: ص١٧٤)

حذف الموصوف:

قـد يُحـذف الموصـوف وتُبقـى الصفـة الدالّـة عليـه، وغايـة الحـذف هـي إثـراء الدلالـة وتـرك العقـل والخيـال يُقـدّران مـن الموصوفـات التـي تنطبـق عليهـا الصفـة، وقـد ذكـر الزركـشي شرطـين لحذفـه:

كون الصفة خاصّة بالموصوف، فمتى ما كانت الصفة عامّة امتنع حذف الموصوف .

أن يعتمد على مجرد الصفة من حيث تعلّقها بغرض السياق. (١٩٥٧:ص١٥٤/٣)

وقد أشار الباقولي إلى أنّ حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه جائز حسن في اللغة العربية، ويُعدّ من جملة الفصاحة والبلاغة في الكلام .(الباقولي، ١٤٢٠هـ: ص)

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١]

يُبيّن الله سبحانه في هذه الآية وما تليها من الآيات من سورة البقرة دستور الأسرة التي يدعو الدعوة الإسلامية إلى إقرارها وتثبيتها، وكيفية تنظيم هذه القاعدة الركينة التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي. فالأسرة هي اللبنة الأساس التي يقوم عليها النظام الاجتماعي الإسلامي، وهي المحضن الطبيعي المكلّف بتربية الناشئة ورعايتها.

وقد تناولت هذه الآيات بعض الأحكام الخاصة بالأسرة، وأكّدت على الركن الأوّل والأساس لبناء الأسرة، وقد بدأت ببيان الحكم الأول الذي يتضمّن النهي عن زواج المسلم بالمشركة، وعن تزويج المشرك من مسلمة، وقد عقّب سبحانه الحكم بذكر العلّة والسبب بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُون٢٢١﴾ .

والبنية العميقة لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ ﴾ هي: (ولَأَمةٌ مؤمنةٌ خيرٌ من أمةٍ مشركةٍ) والسياق يدلّ على المحذوف، وهو كلمة (أَمَةٌ)، كما أنّ البنية العميقة لقوله: ﴿ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡ﴾ هي: (وَ لَعبدٌ مؤمنٌ خيرٌ من عبدٍ مشركٍ) فحُذف الموصوف (عبدٌ) ويدلّ عليه قوله(عبدٌ مؤمنٌ) (ابن عاشور،١٩٨٤:ص٣٦٢/١)، وقد جرى في الجملتين تحويل بحذف الموصوف، وفي الحذف هنا إيجاز بعدم التكرار لوضوح العبارة، والمقام في الآية مقام حثّ على الزواج من المؤمنات، وتزويج المؤمنين، واجتناب تزوج المشركات، أو تزويج المشركين .

وقد بيّن التعبير القرآني في سياق الآية علّة وسبب تفضيل المؤمنين والمؤمنات في الزواج وعملية تكوين الأسرة، والنهي عن الزواج مع المشركين والمشركات، ففي تكملة الآية إشارة إلى المشركات والمشركين يدعون إلى الكفر المؤدّي إلى النار فلا يليق بالمؤمن موالاتهم ومصاهرتهم، وقوله (واللّه) أي: وأولياؤه يعني المؤمنين، فيمكن أن يكون من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه تفخيماً لشأنهم يدعون إلى الجنّة والمغفرة وما يوصل إليهما من الإعتقاد والعمل الموصلين إليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم، وأن يُؤثَروا على غيرهم. (الزمخشري،١٤٠٧هـ :ص٢٦٤/١)، (البيضاوي،١٤١٨هـ :ص١/ ١٣٩)

لقد كان المسلمون أيّام نزول هذه الآيات ما زالوا مختلطين مع المشركين في المدينة، ولم يكونوا بعيدين عن أقربائهم المشركين في مكّة، فربّما رغب بعضهم في تزوّج المشركات، أو رغب بعض المشركين في تزوّج نساء مسلمات، فجاءت هذه الآيات لتبيّن الحكم في هذه الأحوال، والتعبير القرآني بهذا التحويل الذي جرى بحذف الموصوف أخبرنا بأنّ العبد المؤمن الذي وصف بأنّه مملوك خير من أيّ مشركٍ سواء أكان ملِكا أم عبدا، فالعبد الذي وصف بأنّه مؤمن أعظم وأفضل من أيّ مشرك؛ لأنّ الشرك أذهب عنه كلّ خير، فصفة الشرك لا تعادلها صفة في الذمّ والنقص، أمّا المؤمن فسِرّ عظمته في إيمانه، لا بمنزلته الاجتماعية .(ابن عاشور، ١٩٨٤: ص ٣٥٩/٢)

ومن هنا يمكن القول بأنّ عدم ذكر الصفة وحذفها أولى وأبلغ من ذكرها، فيُكسب التحويل بالحذف الكلام قوة وسعة في المعنى، فيُصبح ترك الإفصاح أبلغ إفصاح، والإشارة تُغني عن العبارة، وهذا ما صرّح به الجرجاني بقوله: "ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة" . (الجرجاني،٢٠١٧: ص١٤٦)

حذف الصفة:

منه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ٦٥﴾[الأنفال: ٦٥]

هـذه الآيـة مـن سـورة الأنفـال، فيهـا حـثّ النبـي ﷺ عـلى تشـجيع المؤمنـين للمشـاركة في القتـال في سـبيل دعـوة التوحيـد، والهـدف مـن هـذا التشـجيع هـو بنـاء روح الصـبر والاسـتمرار في وجـه التحدّيـات، وتعزيـز الإيمـان بقـدرة اللـه عـلى نـصر المؤمنـين، وتبـيّن أيضـاً أنّ المقاتـل الـذي يصمـد في وجـه أعـداء الدعـوة الإسـلامية هـو المقاتـل الـذي يتسـلّح بقـوة إيمانـه، المتحـلّي بالصـبر والعزيمـة عـلى الثبـات عنـد لقـاء أعـداء الدعـوة، فـ"إذا أقـدم المسـلمون عـلى القتـال لم يكـن نصرهـم إلاّ بصبرهـم وتأييـد اللـه إياهـم". (ابـن عاشـور،١٩٨٤:ص٢٩٢/٩)

وقـد طـرأ عـلى الآيـة تحويـل بالحـذف وذلـك بحـذف الصفـة مرتـين، فقـد وردت صفتـان في التركيبـين مذكـورة مـرّة ومحذوفـة مـرّة أخـرى، فالأصـل التوليـدي لقولـه تعـالى﴿ يَغۡلِبُواْ مِأۡتَيۡنِ٥﴾: (يغلبـوا مائتـين مـن الذيـن كفـروا) وقـد حُذفـت الصفـة لدلالـة مابعـده عليـه، كـما أنّ الأصـل التوليـدي لقولـه ﴿ وَإِن يَكُـن مِّنكُـم مِّأۡئَـةٞ يَغۡلِبُـوٓاْ أَلۡفٗـا مِّـنَ ٱلَّذِيـنَ كَفَـرُواْ بِأَنَّهُـمۡ قَـوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُـونَ ﴾ : (وإنْ يكـنْ منكـم مائـة صابـرةٌ يغلبـوا ألفـاً ...) وقـد دلّـت عليـه ماقبلـه، وكـذا مـا ورد في الآيـة اللاحقـة .(البغـوي، ١٩٩٧: ص٣٧٥/٣) فقـد ورد فيـه ﴿فَـإِن يَكُـن مِّنكُـم مِّأۡئَـةٞ صَابِـرَةٞ يَغۡلِبُـواْ مِأۡتَيۡنِ﴾ [الأنفـال: ٦٦] ويـرى الواحـدي أنّ الحكمـة مـن ورود (صابـرة) بالتـاء أن التأنيـث هنـا أشـد مبالغـة، حيـث وصفـت المائـة بالصابـرة، ولم يقـل: (صابـرون). (الواحدي،١٩٩٤: ص٤٧٠/٢)

وقـد أشـار أبـو حيّـان إلى أنّ بلاغـة حـذف الصفـة وإثباتهـا في التركيبـين ترجـع إلى وضـوح دلالتهـا مـن سـياق التركيبـين، فيقـول: « والتقييـد بالصـبر في أوّل كلّ شرط لفظـاً هـو محـذوف مـن الثانيـة لدلالـة ذكـره في الأولى، وتقييـد الـشرط الثـاني بقولـه: (مِـنَ الَّذِيـنَ كَفَـرُوا) لفظـاً هـو محـذوف مـن الـشرط الأوّل في قولـه: (يَغْلِبُـوا مِائَتَـيْنِ)، فانظـر إلى فصاحـة هـذا الـكلام حيـث أُثبِـت قيـدٌ مـن الأولى وحُـذف نظيـره مـن الثانيـة وأُثبِـت قيـدٌ في الثانيـة وحُـذف مـن الأولى. « (١٤٢٠هــ: ص٤٩/٥)

أكّـد أبـو السـعود هـذا المفهـوم أيضـاً وأشـار إلى أنّ في الآيـة وعـدا مـن اللـه بتغليـب كلّ جماعـة مـن المؤمنـين الصابريـن عـلى عـشرة أمثالهـم مـن الكافريـن، و قـد أُكّـد هـذا المفهـوم في الآيـة مرتـين لزيـادة التقريـر المفيـدة لزيـادة الاطمئنـان. ويشـير إلى أنّ « قولـه تعـالى (مِـنَ الذيـن كَفَـرُواْ) بيـانٌ للألـف وهـذا القيـدُ معتبرٌ في المِائتـين أيضـاً وقـد تُـرك ذكـرُه تعويـلاً عـلى ذكـره ههنـا كـما تـرك قيـدُ الصـبر ههنـا مـع كونـه معتبراً حتـماً ثقـةً بذكـره هنـاك.» (د.ت: ص٣٤/٤)

حذف المعطوف:

ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ٣﴾ [البقرة: ٣]

يبـيّن اللـه سـبحانه في بدايـة سـورة البقـرة أنّ القـرآن المنـزل مـن عنـده إنمـا يكـون هـدى لمـن يجـيء إليـه بقلـب سـليم، بقلـب يخـشى ويتوقـى، عندئـذ يتفتـح القـرآن عـن أسراره وأنـواره، ويسـكبها في هـذا القلـب الـذي جـاء إليـه متقيـاً، خائفـاً، حساسـاً، مهيّـأً للتلقـي . ثـمّ يبـين صفـات المتقـين وهـم: ﴿ٱلَّذِيـنَ يُؤۡمِنُـونَ بِٱلۡغَـيۡبِ وَيُقِيمُـونَ ٱلصَّلَـوٰةَ وَمِـمَّا رَزَقۡنَٰهُـمۡ يُنفِقُـونَ ٣ وَٱلَّذِيـنَ يُؤۡمِنُـونَ بِمَـآ أُنـزِلَ إِلَيۡكَ وَمَـآ أُنـزِلَ مِـن قَبۡلِـكَ وَبِٱلۡأٓخِـرَةِ هُـمۡ يُوقِنُونَ﴾ [البقـرة: ٣-٤]

والبنيـة التوليديـة لقولـه: (الذيـنَ يُؤمنـون بالغيـبِ) هـي: (الذيـن يُؤمنـون بالغيـب والشـهادة) طـرأ عليـه تحويـل بحـذف المعطـوف (الشـهادة) . وعـن حـذف المعطـوف والاكتفـاء بذكـر المعطـوف عليـه (الغيـب) يقـول السـيوطي: «(الذيـن يُؤمنـون بالغيـب) أي والشـهادة ؛ لأنّ الإيمـان بـكلّ منهـما واجـب، وآثـر الغيـبَ لأنّـه أمـدح ولأنّـه يسـتلزم الإيمـان بالشـهادة مـن غـير عكـس» (١٩٧٤: ص٢٠٣/٣) ، ومـن البديهـي أنّ التقـوى يشـمل أمـوراً كثـيرة ويتطلـب متطلّبـات عديـدة، إلاّ أنّ في «تخصيـص الإيمـان بالغيـب، وإقامـة الصـلاة وإيتـاء الـزكاة بالذكـر إظهـاراً لفضلهـا عـلى سـائر مـا يدخـل تحـت اسـم التقـوى .» (البيضاوي،١٤١٨هــ:ص٧/١)

قـال ابـن عاشـور: « لأنّ الإيمـان لمّـا كان مقـرّه القلـب ومترجمـه اللسـان، كان محتاجـاً إلى دلائـل صـدق صاحبـه وهـي عائـم الأعـمال، مـن ذلـك إلتـزام آثـاره في الغيبـة الدالّـة عليـه (الَّذِيـنَ يُؤْمِنُـونَ بِالْغَيْـبِ). ومـن ذلـك فعـل الصلـوات لأنّهـا دليـل عـلى تذكّـر المؤمـن مـن آمـن بـه . ومـن ذلـك السـخاء ببـذل المـال للفقـراء امتثـالاً لأمـر اللـه بذلـك . (١٩٨٤:ص١/ ٢٣٤)

ويبـدو لي أنّ التحويـل الـذي جـرى في الآيـة بحـذف المعطـوف مـردّه أنّ الآيـة في مقـام مـدح للمؤمنـين بالغيـب، ولـذا أثنـى

عليهم التعبير القرآني ونعتهم بالمتقين، وعن المقصود بالغيب في قوله تعالى: (الذين يُؤمنون بالغيب)، روي عن قتادة أنّه "قال: آمنوا بالجنّة والنار، والبعث بعدَ الموت، وبيوم القيامة، وكلُّ هذا غيبٌ." (الطبري، ٢٠٠١:ص٢٤٢/١) . ونلاحظ ذكر أمور غيبية كثيرة في افتتاح سورة البقرة. إلاّ أنّ التعبير القرآني قد اكتفى ببيان نجاحهم في اختبار الإيمان بالغيب، وبذلك قد حصلوا على أعلى درجة، فهل هناك من داعٍ لأن تُذكر الإيمان بالشهادة وهو دون درجة الإيمان بالغيب، ويتساوى معهم فيها كثير ممن سواهم ؟! (عبيد،٢٠١٣:ص١٩٣)

ذكر السيوطي هذه الآية في باب الاكتفاء، وعرّف الاكتفاء بقوله: "هو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط، فيكتفي بأحدهما عن الآخر لنكتة، ويختصّ غالباً بالارتباط العطفي" (١٩٧٤:ص٢٠٣/٣) ، والجدير بالذكر هنا أن نشير إلى كيفية ورود كلمتي الغيب والشهادة المتلازمتين في الآيات القرآنية، فقد وردت كلمة الغيب منفردة، كما وردت مقترنة بالشهادة، ولعلّ السبب في ذلك يرجع إلى السياق الذي ورد فيه .

فنرى أنّ الله سبحانه يُثني على نفسه عن طريق التصريح بأنّ الغيب هو جزء من علمه في قوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦] وقال الزركشي في بيانه: «أي: والشهادة بدليل التصريح به في موضع آخر» . (١٩٥٧:ص١٢٠/٣) ولعلّ سبب ورود كلمة الغيب وعدم ذكر الشهادة معه هو:

أنّ المقام هنا هو مقام التركيز على الغيب، فهذه الآية وردت في سورة الجنّ، والحديث فيها عن الجنّ واستماعهم للقرآن الكريم ودعوة النبي ﷺ وإيمان بعضهم به، وأمر الجنّ بالنسبة لعموم المؤمنين من المغيبات ؛ لأنهم لا يرونهم ولا يسمعونهم .

الخطاب في هذه الآيات لتذكير الجنّ وتحذيرهم من يوم القيامة - و هو أعظم المغيبات- حتى أنّ الرسول لا يعلم على وجه التحديد والدقة موعد قيامها .

إنّ الجنّ كانوا يدّعون معرفة الغيب، فأراد القرآن أن يُخبرهم أنّ علم الغيب المطلق خاصّ بالله تعالى وحده .

أمّا المواضع التي صرّح فيها بذكر الشهادة إلى جانب الغيب والتي تبلغ عشر مرات، فنجد أنّها تأتي في سياق التركيز على إحاطة علم الله بكلّ شيء، وأنّه لا يعزب عن علمه مثقال ذرّة في السماوات والأرض . منها قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٨-٩].(عبيد،٢٠١٣/ص١٩٣-١٩٥)

الخاتمة

يمكن تلخيص أهمّ النتائج التي توصلت إليها الدراسة بما يأتي:

إنّ تحليل النصوص ولاسيّما النصوص القرآنية حسب المنهج المتّبع في الدراسة (المنهج التحويلي) يساهم إلى حدّ كبير في إبراز المعاني الدفينة خلف التراكيب والنصوص .

إنّ الرجوع إلى البنية العميقة للتراكيب والآيات خير معين لمعرفة الألفاظ المحذوفة في البنية السطحية، ومعرفة الأغراض والأسباب الكامنة وراء التحويل الذي جرى بحذفها .

إنّ السياق يؤدي دوراً كبيرا، بل هو العامل المؤثر والفعال في استجلاء دلالة التراكيب .

اعتماد النحاة القدامى والمفسّرين عند دراستهم لمبنى التراكيب اللغوية على شقي السياق اللغوي وغير اللغوي .

حذف أحد ركني التركيب الإسنادي المسند والمسند إليه ساهم في إثراء التركيب بأكثر من توجيه نحوي في بنيته السطحية .

(تحقير المسند إليه، وتعجيل المساءة للكافرين، والاهتمام بشأنه) من أهم العلل والأسباب التي تكمن وراء عملية التحويل بحذف المسند إليه في التراكيب والآيات المدروسة .

أمّا حذف المسند فمن أبرز أسبابه: (العلم به، وتصفية العبارة وصيانتها من التمدّد الثقيل، تقاصر الزمان عن ذكره).

(الإيجاز والتشويق، وإفادة العموم والاختصار، ومراعاة الفاصلة، والتركيز على إزالة معنى غير صحيح، وإفادة إطلاق

التعبير وتركه لفهم المتلقي، وبيان عظمة المحذوف، واغتنام الفرصة، والتخفيف والتلهف إلى تحقّق المدعوّ به، والاكتفاء أي أنّ المحذوف ملازم للمذكور) من أهم العلل التي تقف وراء حذف مكمّلات التراكيب والآيات المدروسة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت ١٢٧٠هـ)، ١٤١٥هـ: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحيق: علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلي(٦٣٧هـ)، ١٩٩١م، المثل السائر، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية ـــ بيروت.

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت ٦٠٦هـ)، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م: النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية - بيروت،تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.

ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، ١٤٢٩هـ ـــ ٢٠٠٨م: الخصائص، تحقيق : الدكتور عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٣.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الهر التونسي المتوفي ١٣٩٣ هـ ١٩٨٤م، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية للنشر – تونس .

ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت ١٢٢٤هـ)، ١٤٣٩ه: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، ١٩٩٧م ـ ١٤١٨هـأبو الحسين (ت ٣٩٥هـ): الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، الناشر: محمد علي بيضون.

ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م: شرح المفصل للزمخشري، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت ٩٨٢هـ)، د.ت: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

أبوسعيفان، د. سامية مونس، ٢٠١٢م/ ١٤٣٣هـ: عوارض التركيب في سورة البقرة دراسة نحوية وصفية، تحقيق: كرم محمد داوود زرندح.

أبو شادي، مصطفى عبدالسلام ،١٤١٢هـ ـــ ١٩٩١م: الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة .

أمين آغا، د. طه صالح، ٢٠٠٧م: التوجيه اللغوي للقرآت القرآنية عند الفراء في معاني القرآن.

الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين (ت ٧٤٥هـ)،١٤٢٠ه: البحر المحيط في التفسير،تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت.

الأنصاري، جمال الدين ابن هشام، ١٩٧٩م: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، ط٥، دار الجيل ـ بيروت .

الأنصاري، أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام(ت ٧٦١هـ)، ٢٠٠٩: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق، ط٦.

الباقولي علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن نور الدين جامع العلوم الأَصْفهاني (ت نحو ٥٤٣هـ)،١٤٢٠هـ إعراب القرآن المنسوب للزجاج،تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري - القاهرة ودار الكتب اللبنانية - بيروت - القاهرة / بيروت، ط/ ٤.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م: صحيح البخاري،تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة - دمشق، ط/ ٥ .

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي،١٩٩٧م – ١٤١٧هـ : معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تحقيق: محمد عبدالله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط/٤.

بنت الشاطئ، د. عائشة عبدالرحمن، ١٩٦٢م: التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف ـ مصر .

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، ١٤١٨ه: أنوار التنزيل وأسرار التأويل،تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

الترك، أريج حامد، ٢٠٠٤، عناصر التحويل التركيبي في المثل العربي في ضوء علم اللغة المعاصر، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة ـ الأردن، إشراف: يحيى عبابنة.

الجرجاني، عبدالقاهر بن عبدالرحمن، ١٤٣٨هـ ـــ ٢٠١٧م: دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر ، انتشارات مند ـ قم.

الجواري، الدكتور أحمد عبدالستار، د.ت: نحو القرآن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد،.

حسان، د. تمام، ٢٠١٣: البيان في روائع القرآن، عالم الكتب – الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢.

حمودة، طاهر سليمان، ١٩٩٨م: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطبع والنشر والتوزيع ــ أسكندرية .

حموش، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش (ت ٤٣٧هـ) ١٤٠٥هـ : مشكل إعراب القرآن، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط/٢ .

الخطيب، عبدالكريم يونس، د.ت: التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي ــ القاهرة .

الخفاجي، أبي محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان (ت ٤٦٦هـ)، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م: سرّ الفصاحة، دار الكتب العلمية.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، ١٤٢٠ه: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣.

الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق (ت ٣١١هـ)، ١٩٨٨م ـ ١٤٠٨هـ معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت،ط١ .

الزركشي، محمد بن بهادر بن عبدالله، ١٩٥٧م – ١٣٧٦هـ : البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه .

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت ٥٣٨هـ)، ١٤٠٧ه: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (مع الكتاب حاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري (ت ٦٨٣)، وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعي)، دار الكتاب العربي – بيروت.

السامرائي، د. فاضل صالح، ٢٠٠٦م – ١٤٢٧هـ: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ط/٢، القاهرة، شركة العاتك لصناعة الكتاب .

أبو سعيفان، سامية مونس خليل، ٢٠١٢م ، عوارض التركيب في سورة البقرة دراسة نحوية وصفية، إشراف: أ. د. كرم محمد زرندح .

سليمان، فتح الله أحمد، ٢٠٠٤، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، مكتبة الآداب ـ القاهرة .

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، ١٩٧٤م – ١٣٩٤هـ: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، أربعة أجزاء .

سيبويه، أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر،١٩٨٨م – ١٤٠٨هـ: كتاب سيبويه، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة .

سيّد قطب، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥م: في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ، ط ٣٥.
الشعراوي، محمد متولي، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م: خواطر فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي حول القرآن الكريم، راجعه وخرّج أحاديثه: د. أحمد عمر هاشم، مطابع أخبار اليوم .
الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (ت ٣١٠هـ)، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م: تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ،تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.
عبدالباقي، محمد فؤاد، ١٦٤ه : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث – القاهرة.
عبيد، حيدر حسين، ٢٠١٣: الحذف بين النحويين والبلاغيين دراسة تطبيقية، ط١، دار الكتب العلمية ـ بيروت .
عتيق، د. عمر عبدالهادي، ٢٠١٢م: علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن ــ عمان ، ط١.
العكبري، أبو البقاء عبدالله بن الحسين: التبيان في إعراب القرآن، ١٩٧٦م، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، مصر، د.ط .
العكبري، أبو البقاء عبدالله بن الحسين، بيروت، ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م: إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، دار الكتب العلمية.
عمايرة، الدكتور خليل أحمد، ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م: في نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق)، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية – جدة.
الفرّاء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (ت ٢٠٧هـ) ، د.ت : معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر .
القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري،١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢ .
كريم، ياسين عبدالله، ٢٠٢١: شخصية النبي ﷺ في التراكيب القرآنية ـ دراسة نحوية تحويلية، رسالة ماجستير، إشراف: أ. د. طه صالح أمين آغا .
الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م: فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دار القلم - دمشق.
النحّاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت ٣٣٨هـ)، ١٤٢١هـ: إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت.
النحّاس، أحمد بن محمد ، ١٤٠٩ هـ : معاني القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى ـ مكّة المكرّمة .
الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، ١٩٩٢م – ١٤١٢ه: أسباب نزول القرآن، تحقيق: عصام بن عبدالمحسن الحميدان، ط/٢، دار الإصلاح – الدمام.
الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، ١٩٩٤م – ١٤١٥هـ: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس،قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.